صوت الجيل 25

العدد 25 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

2024

رواية الذكاء الاصطناعي
جلال برجس

أدب الشباب في جرش
وفاء زاهر خان

الأجيال العربية الشابة المبدعة
منير عتيبة

كيف يتشكل الأدب عند الشباب بعيدًا عن المدينة؟
عهود عبد الكريم

مظاهر الكتابة الجديدة لدى أحدث أجيال قصيدة النثر
شريف الشافعي

للفنانة تقى الدحلة/ الأردن

وزارة الثقافة

Sawtalgeel
صوت الجيل 25

العدد 25 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
تيسير الشماسين
علي شنينات
جعفر العقيلي

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

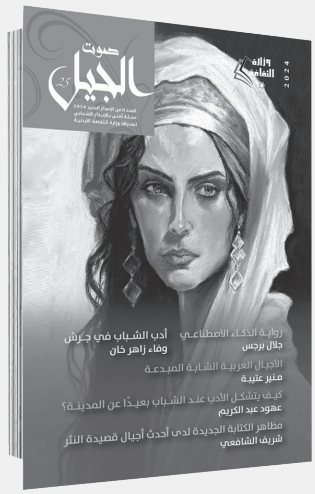

غلاف العدد

لوحة الغلاف للفنانة: زينة الدجاني/ الأردن

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة

E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تُعبرِّ عن آراء كُتّابها ولا تُعبرّ بالضرورة عن رأي المجلة

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18-35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعرية على الشباب.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكُتّاب الأردنيين.

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة
www.culture.gov.jo

العنوان البريدي
الأردن - عمان - ص.ب 6140
الرمز البريدي 11118 عمّان

صوت الجيل
Sawtalgeel

المحتويات

عتبة

- روايةُ الذَّكاءِ الاصطناعيّ ..... جلال برجس 4

البوابة الرقمية

- المواطنةُ الرَّقميّة..... علي شنينات 7

مصفوفة العدد

- أدبُ الشّبابِ في جرش ..... إعداد: وفاء زاهر خان 14
- جرش.. حكايةُ الكتابةِ التي لا تنتهي ..... وفاء زاهر خان 15
- المشيُ بوصفِهِ كتابةً ..... عبد الله الزعبي 18
- كأعمدةٍ نثرَتْها الرّنود ..... محمد القادري 21
- هل يُنافسُ أدبُ جرش أعمدتَها؟ ..... يزن عيد الحراحشة 24
- جرش دُرّةُ الحضاراتِ ووحيُ الثقافة ..... مهاب أحمد القاسم 27
- المشهدُ الثقافيُّ في جرش إلى أين؟ ..... محمود عقيل الزعبي 30
- جرش مدينةُ الثقافةِ الخفيّة في عيون الأردن ..... نسيبة المقابلة 33

ملتقى الأجيال

- كاتبة وناقد على طاولة (صوت الجيل) ..... حوار: ديانا دودو 37

وردٌ بلدي

- قصّة النّجوم ..... نورهان البسيوني 48
- رغدُ العذاب ..... لورنس السكر 50

العدد 25 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

25

2024

contents

- نقوش .... سامح أدوار سعد الله 52
- ذاكرةٌ في مَصحّةِ الزّمن .... محمد كنعان 54
- نشيجُ المُعمِّرات .... مهند الرفوع 55
- وعاء .... خلود الإبراهيم 56
- أكتبُ بما يشبهُ قلبي .... سماح موسى 60
- الأجيالُ العربيّةُ الشّابّةُ المُبدِعةُ .... منير عتيبة 66
- كيف يتشكّلُ الأدبُ عندَ الشّبابِ بعيدًا عن المدينة؟ .... عهود عبد الكريم 70
- خرقُ الإشاراتِ الحمراء.. مظاهرُ الكتابةِ الجديدةِ لدى أحدثِ أجيالِ قصيدةِ النَّثر .... شريف الشافعي 74
- أدبُ الشّبابِ........ لطيفة القاضي 79
- قراءة في (ديّة قلب) للكاتبة الأردنيّة الدكتورة هند البريزات .... محمد خضير 82
- الأدبُ السّعوديّ بينَ الجسورِ والمكانة .... عبد الله الحواس 85
- وادي الرّيان.. بقعةٌ من الجنّة .... سلام خشان 92

ورد بلادي

خرائط البوح

المختبر

مراسيل

نقوش

روايةُ الذَّكاءِ الاصطناعيّ

جلال برجس

هل حقًّا ستكتبُ التكنولوجيا روايتنا؟! وهل سيكون لها تلك الطّقوسُ التي تُفضي إلى عوالم الكتابة الغامضة، اللحظة الشّعوريّة، الوعي الاستشرافيّ، الإحساس بالمصير الإنسانيّ، وبأحلامنا، وأفراحنا، وأوجاعنا، وانكساراتنا، وتساؤلاتنا الكبرى؟ لقد أخذنا نردّد هذه التّساؤلات حيالَ ما يطفو على السّطح من تنبؤاتٍ وتباشيرَ غريبةٍ تشير إلى مراحلَ جديدةٍ في حياتنا.

تنبّأ العلماءُ ومنظّرو الزّمن الجديد قبل سنين أنَّ التكنولوجيا ستصل إلى مرحلةٍ يمكنها فيها كتابة رواية متكاملة الأركان، بعد أن تنبّأ من قبلهم (بل غيتس) بمعظم ما نحظى بها من تكنولوجيا المعلومات في كتابه الشّهير (المعلوماتيّة بعد الإنترنت).

وفي عام 1987 أعلن البروفيسور (جاي ديفدبولتر) أستاذ علوم الحاسوب في جامعة (نورث كارولينا) الأمريكيّة في الملتقى الدوليّ الأوّل للنّصّ التشعّبيّ الذي عُقِدَ في مدينة (تشابل هيل) الأمريكيّة عن أول رواية رقميّة يكتبها برنامجه (ستوري سبيس) بعنوان (الظهيرة، قصة).

وفي عام 2015 استعان عددٌ من الباحثين اليابانيّين يترأّسهم البروفسير (هيروشيماتسوبارا) بإمكانات الذكاء الاصطناعيّ في كتابة رواية تحت عنوان: (اليوم الذي يكتب فيه الكمبيوتر رواية). والغريب في الأمر أنَّ هذه الرواية اجتازت المرحلة الأولى من التّصفيات نحو الفوز، من دون أن يدرك المُحكّمون أنَّ يدًا غيرَ بشريّةٍ ساهمت في هذه الكتابة التي بدت فيها الشخصيّات غير مكتملة النمو.

في تشرين الثاني/ نوفمبر من عام 2022 ظهر ما يسمى بـ (CHAT GPT)، وهو عبارة عن روبوت محادثة طوّرته شركة (openai)، يعتمد على التّعلّم الآليّ كما ذكرت منصة (ذا نيويوركر) (The New Yorker) في تقرير لها، حيث تتعلّم أجهزة الحاسوب من تلقاء نفسها، اعتمادًا على المعلومات الهائلة التي تختزنها من غير حاجة إلى البرمجة أو

إعادة البرمجة، فما تملكه من بيانات يجعلها قادرة على التّعلّم الذّاتيّ، وهي أيضًا قادرة على كتابة وتأليف نصوص معقّدة، وكذلك لديها القدرة على التّحدّث والحوار مع البشر عبر روبوتات الدّردشة التفاعليّة.

ولفرط ما سمعتُ عنه أيضًا في الأوساط الثقافيّة – وخاصةً الشّبابيّة – من قدرةٍ حتى على كتابة مُلخّص دلاليّ لرواية، قادني فضولي لاختبار قدراته ومعاينة ما تنبّأ به العلماء في هذا الشأن، بالرغم من رفضي الداخليّ لما يمكن أن تصل إليه (الرّقمنة) من أحاسيس بشريّة، خاصة تلك المتعلّقة بالأدب ولحظاته السِّرّيّة.

سألته في البَدْءِ عنّي، فأعطاني معلومات لا تمتّ لي بصلة، معلومات بدت لي لأكثر من كاتب، لقد كانت توليفة خائبة، ثم طلبتُ منه كتابة رواية بعد أن وضعتُ له مُلخّصًا قصيرًا لإحدى رواياتي التي نُشِرَتْ، فأخذ يكتب ما زَعَمَ دماغه التّقنيّ أنّه روايةٌ أو شرحٌ لفكرة المضي بها. لقد كان سلوكًا إلكترونيًّا مبنيًّا على ما وصل إليه من معلومات في الإنترنت تتعلّق بالفنّ الرّوائيّ ومُلخّصاته، وبنصوص نُشِرت في هذا الفضاء، بمعنى آخر إنّه يأخذ من كلّ رفّ معلومة، ويقوم بدمجها، ثم يقدّم مقترحاته.

إنَّ السؤال الذي يطرح نفسه بقوةٍ حيالَ هذا التّدفّق الإلكترونيّ المرعب، خاصةً أنَّ هذا الشكل الرّقميّ ما يزال في بدايته نحو النّضج المعلوماتيّ، هل غرض التكنولوجيا تهميش الإنسان بهذا القدر؟ أم معاونته في وجه كثير من التحديات؟

إنّني على الصعيد الشّخصيّ أشعر برعبٍ كبيرٍ ممّا سيحدث، بالرّغم من توقّعي أنَّ التكنولوجيا لن تنجح في تقليد الأفعال البشريّة كالكتابة في القرون القريبة اللاحقة، ولا يمكن لها على الإطلاق أن تقبض على عصب أحاسيسنا البشريّة التي تقف وراء كلّ أبواب الإبداع، وهي التي تميّز بشريّتنا عمّا صنعنا.

لكن الخطير في الأمر – والرّقمنة تسعى إلى احتلال أماكننا – أنَّ هناك أشكالًا أدبيّةً ستظهر ناقصةَ وعينا، وطموحاتنا، وأحاسيسنا حيال الوجود الإنسانيّ، وأنَّ الذّكاء الاصطناعيّ سيساهم في تسطيح الأدب.

إنّه صراع الإنسان مع ما تفتّق عنه ذهن الإنسان، فقد نجحت التكنولوجيا في تسهيل كثير من مناحي حياتنا، لكنّها ستعيق هذه الحياة إذا ما وصل الأمر إلى خصوصيّاتنا وسماتنا الإنسانيّة، فهي تفتح الباب لولادة أشكال هجينة، مُفرَّغة من مضامينا البشريّة، وتوقع الإنسان في حيرة الوهم ووهم الحيرة.

Personal Da
Name
Home Addr
Business A
Identity Ca
Passport N
Driving Lic
Income Ta
Car Regis
Other
Confidential Data
[Identify Person]

البوابة الرقمية

المواطنةُ الرَّقميّة

علي شنينات

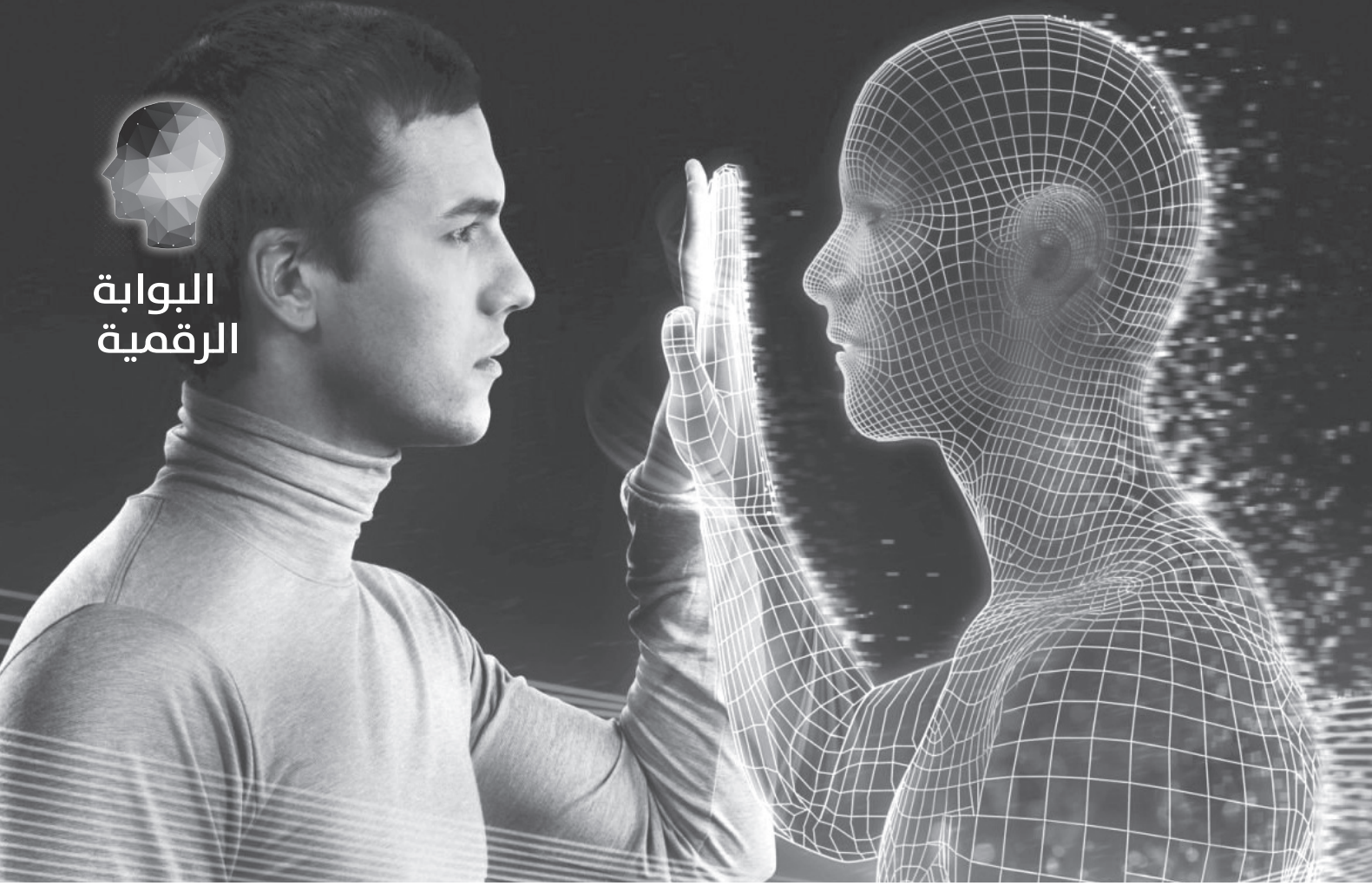

المواطنةُ الرَّقميّة

علي شنينات

تظهـرُ الآنَ – في أغلـب دول العالـم – هُويّـةٌ رقميّـةٌ مُحـدّدةٌ للتّعامـلات الحكوميّـة، مـع قيـام الحكومـات في جميـع أنحـاء العالـم بنقـل خدماتها ومعاملاتها عبـر الإنترنت. تتكوّن الهُويّة الرّقميّة – كما هـي مستخدمة – مـن المعلومـات المُسـجَّلة رقميًّـا عـن شـخص طبيعـيّ، والتـي يتـمّ تسـجيلها بموجـب مُخطَّـط الحكومـة الإلكترونيّـة المُحـدّد.

هـذه الهُويّـة الرّقميّـة مطلوبـة بشـكل عـام للخدمـات الحكوميّـة، وهـي مـن مزايـا الضّمـان الاجتماعـيّ، والمسـاعدة في التّوظيـف، إلـى الرّعايـة الصِّحّيّـة والإيـداع الضّريبـيّ، وبالتالـي فـإنَّ الهُويّـة الرّقميّـة هـي الآن الوسـيلة الأساسـيّة التـي يمكـن للشّـخص الطبيعـيّ مـن خلالهـا الوصـول إلـى هـذه الخدمـات.

الانتقـال إلـى هـذا التّطـوّر الجديـد جـارٍ في الولايـات المتّحـدة وأسـتراليا والعديـد مـن الـدول الآسـيويّة والأوروبيّـة، فعلـى سـبيل المثـال نقلـت إسـتونيا جميـع الخدمـات إلـى التّسـليم الرّقمـيّ، بينمـا في بلـدان أخـرى مثـل الولايـات المتحـدة وأسـتراليا كانـت هـذه الخطـوة تدريجيّـة.

ومن بين البلدان التي تنفّذ هذه المُخطّطات بشكل تدريجيّ أستراليا، التي تشتهر بتقدّمها في شأن التأثير على الأفراد، حيث صرّحت الحكومة الأستراليّة بشكل لا لبس فيه، أنَّها تنتقل إلى ما تُسمّيه «المواطنة الرّقميّة»، وتُقِرّ الحكومة الأستراليّة بأهميّة الهُويّة الرّقميّة، والآثار المهمّة في حالة تعرّضها للخطر، في عصر تكون فيه هُويّتنا عبر الإنترنت أساسية للوصول إلى المعلومات والخدمات، فإنَّ ضمان سلامة تلك الهُويّة أمر مهمّ بشكل متزايد.

يمكن أن يكون لفقدان هويّتنا على الإنترنت أو المساومة عليها آثار واسعة النطاق، بما في ذلك الخسارة الماليّة والضيق العاطفيّ والإضرار بالسّمعة. وتذكر الحكومة الأستراليّة أيضاً أنّه ستكون هناك قيمة في إعادة النظر في توزيع المسؤوليّة بين الأفراد والشّركات والحكومات، وقد يحتاج تطوير فهم مشترك لنموذج المواطنة الرّقميّة المسؤولة (عقد اجتماعيّ رقميّ) إلى أن يكون جزءًا من النقاش حول مستقبل أستراليا الرّقميّ.

في ظلّ تطوّر المعلوماتيّة، يجب أن نعيَ ما يتضمّنه الاتصال الاجتماعيّ الرّقميّ في ما يتعلّق بالهُويّة الرّقميّة وحقوق الفرد في هُويّته الرّقميّة؛ بسبب أهميّتها التّجاريّة والشّخصيّة، وحقّ الإنسان في الهُويّة بموجب القانون الدوليّ، إنّها طريقة مختلفة اختلافًا جوهريًّا في التعامل، وهي ترفع الهُويّة الرّقميّة إلى مستوى غير مسبوق من الأهميّة الشّخصيّة والتّجاريّة والقانونيّة.

تستند هذه الرؤية بالضّرورة إلى فرضيّة شخص واحد (هُويّة رقميّة واحدة)، إذ إنَّ رقمنة الخدمات والمعاملات الحكوميّة مدفوعة بالحاجة إلى خفض التكاليف، وزيادة الكفاءة في تقديم الخدمات، لكنَّ الأهمّ من ذلك هو الحاجة إلى الحدّ من الاحتيال، ونتيجة لذلك يمكن للفرد أن تكون له هُويّة رقميّة واحدة فقط بموجب هذا النوع من المُخطّطات.

ومن المُرجَّح أن تُحدِّدَ الهُويّةُ الرّقميّةُ المطلوبة للخدمات الحكوميّة، معيارَ المعاملات مع القطاع الخاص، لذلك فهي نتيجة لا مفرّ منها تقريبًا من وجهة نظر عمليّة، ما لم تكن هناك أسباب للشكّ في دقّة وسلامة الهُويّة الرّقميّة المُسجَّلة، وهذه هي التجربة الدوليّة إلى الآن، وهذا يعني أنَّ الهُويّة الرقميّة للمعاملات الحكوميّة ستصبح الوسيلة الأساسيّة التي يمكن للفرد من خلالها الدخول في جميع المعاملات التّجاريّة.

الهُويّة الرّقميّة في هذا السياق لها تكوين محدّد في الوظائف والمعاملات، ممّا يجعل دقّتها وسلامتها أمرًا بالغَ الأهميّة، ومع ذلك فإنَّ تصميم النظام يجعل هذه الهُويّة عرضةً لخطأ النّظام، ويتمّ استخدام خطأ النّظام لوصف أيّ عطل لا يتعرّف فيه النّظام على هُويّة رقميّة أصليّة وصالحة، وقد يكون العطلُ أيضًا تلقائيًّا أو نتيجةً لاستخدام الهُويّة الرّقميّة للفرد من قبل شخص آخر، أو نتيجةَ استخدام جزءٍ منها.

وفي معظم الحالات، تنطوي هذه الأخيرة على خيانة الأمانة، لكن ليس دائمًا، فالهُويّة الرّقميّة وقابليتها لخطأ النّظام، يُغيّران بشكل أساسي ميزان المسؤوليّة والمساءلة بين الحكومة والمواطنين. إنَّ الأفراد هم الأكثر تضرّرًا عندما لا يعمل النظام على النحو المنشود؛ نتيجةً للاحتيال أو لخطأ في النظام، حيث يتمّ قبول هُويّة مُزيَّفة على أنّها أصليّة أو شرعيّة.

الهُويّة الرّقميّة تتكوّن من مجموعتين من المعلومات: مجموعة صغيرة من المعلومات المُحدّدة التي يجب تقديمها للمعاملة (هُويّة المعاملة)، ومجموعة أكبر من المعلومات الأخرى الأكثر تفصيلاً، والتي يتمّ تحديثها على أساس مستمرّ، وتُشكّل هاتان المجموعتان من المعلومات مجتمعتينِ «الهُويّة الرّقميّة»، ونظرًا لطبيعتها ووظائفها، فإنَّ هُويّة المعاملة هي أهمّ جزء في الهُويّة الرّقميّة، كما أنّها أكثر عرضةً لخطأ النّظام.

هُويّة المعاملة ثابتة نسبيًّا، وتتكوّن في الغالب من المعلومات التي تمّ تحديدها عند الولادة، وتتألّف هُويّة المعاملة من الاسم الكامل، ونوع الجنس، وتاريخ الميلاد، وقطعة واحدة على الأقلّ ممّا يُشار إليه باسم «معلومات تحديد الهُويّة»، والتي غالبا ما تكون توقيعًا أو محدّدًا رقميًّا.

المعلومات التي تتألّف منها هُويّة المعاملة عامّة إلى حدّ كبير، وليست ذات طبيعة تجتذب حماية الخصوصيّة بشكل طبيعيّ، وتختلف المعلومات التي تُشكِّلُ هُويّة المعاملة اختلافًا جوهريًّا عن المجموعة الأكبر من المعلومات الأخرى التي تكمن وراءها، هذه المجموعة الأكبر من المعلومات تحكي قصةً عن شخص، وهذا هو الغرض الوحيد منها.

كما أنّه ديناميكيّ، حيث تتمّ زيادته على أساس مستمرّ؛ ليشملَ تاريخ المعاملات، حتى المعلومات التي تبدو للوهلة الأولى إداريّة إلى حدّ كبير، مثل ما إذا كان قد تمّ تقديم إقرار ضريبيّ، أو المطالبة بمزايا الضّمان الاجتماعيّ، تُضاف إلى السّجل والملف الشخصيّ الذي يُشكِّله.

هذه المعلومات تُعتبَرُ بشكل عامّ معلومات شخصيّة، وعادة ما تكون محميّةً بموجب لوائح الخصوصيّة وحماية البيانات في الولايات المتحدة، بما في ذلك أستراليا والمملكة المتّحدة والاتحاد الأوروبيّ، ويتمّ الوصول إلى هذه المعلومات في المقام الأول عن طريق هُويّة المعاملة، فقد تمّ تصميم النظام بحيث تكون هُويّة المعاملة هي نقطة الوصول، ويكون لها دور حارس البوّابة.

الأهمّ من ذلك أنَّ هُوية المعاملة تربط الهُويّة الرّقميّة بالفرد من خلال تحديد هُويّة المعلومات، وهذه هي وظيفتها الأساسيّة. ويتمّ استخدام المعلومات التي يتمّ جمعها عند تسجيل الفرد، بموجب المُخطّط لمصادقة الهُويّة، وبمجرّد المصادقة تُسجَّل الهُويّة في النظام.

تربط معلومات التعريف الهُويّة الرّقميّة المُسجَّلة بهذا الفرد، وعادةً ما تكون معلومات التعريف عبارة عن رقم وتوقيع مكتوب بخط اليد، وأحيانًا صورة للرأس والكتفين، وتتضمّن بعض المُخطّطات القياسات الحيويّة كجزء من معلومات التعريف، وهي القياسات الحيويّة المُعتادة، مثل بصمات الأصابع، ومسحين لقزحية العين، ومسحٍ للوجه.

وعلى الرّغم من أنَّ هُويّة المعاملة قد تبدو في بعض النواحي تكرارًا للوظيفة التقليديّة لأوراق اعتماد الهُويّة، مثل

أوراق الهُويّة وجواز السفر، فإنَّ هناك تمييزًا مهمًّا، على عكس أوراق الهُويّة التقليديّة، حيث تلعب المعلومات التي تُشكِّلُ هُويّة المعاملة الدور الحاسم في المعاملة وليس الفرد، فالإنسان ليس محوريًّا أو ضروريًّا.

وتُمكّن هُويّة المعاملة من التفاعل من آلة إلى آلة، بناءً على مجموعات البيانات المطابقة، فإذا كانت جميع معلومات هُويّة المعاملة كما تمّ تقديمها، تتطابق مع المعلومات المُسجّلة، فإنَّ نظام المُخطّط يأذن تلقائيًّا بالتعامل مع تلك الهُويّة الرّقميّة.

تعمل الهُويّة الرّقميّة بشكل أساسيّ على تغيير الطريقة التي تُقدّم بها الحكومةُ الخدماتِ الأساسيّةَ، وتتعامل بها مع مواطنيها، هُويّة المعاملة هي أهمّ جزء من الهُويّة الرّقميّة؛ لأنَّ سلامتها ووظائفها مهمّة للوكالات الحكوميّة وشركات القطاع الخاص التي تتطلّب تلك الهُويّة للمعاملات وللحكومة.

ومع ذلك، فإنَّ دقّة هُويّة المعاملة ووظائفها هي الأكثر أهميّة للأفراد، وعادةً ما يتمّ تنفيذ مُخطّطات الهُويّة الرّقميّة دون إيلاء الاعتبار الكافي لعواقب فرضها، خاصة على الأفراد. إنَّ الهُويّة الرّقميّة المطلوبة للمعاملات هي الآن الوسيلة الأساسيّة التي يمكن للشخص من خلالها التعامل في هذا العالم الافتراضيّ الجديد.

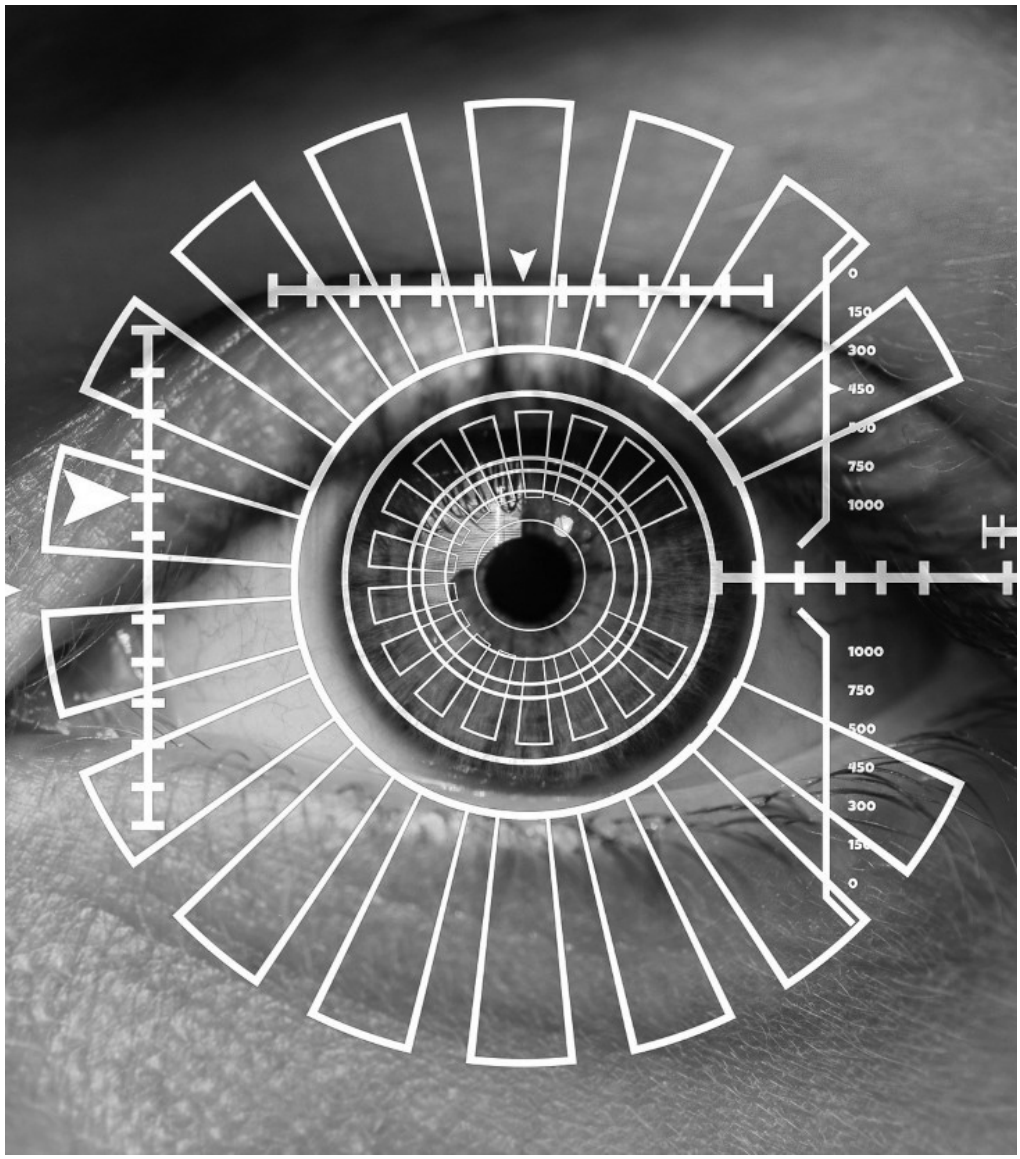
0
150
300
450
750
1000
1000
750
500
450
300
0

المسرح الشمالي بجرش/ الأردن

العدد

أدبُ الشّبابِ في جرش أمومةُ الطّبيعة، وسطوةُ التّاريخ، والسّعْيُ إلى غدٍ مُشرِق

إعداد: وفاء زاهر خان

- جرش.. حكايةُ الكتابةِ التي لا تنتهي ..... وفاء زاهر خان
- المشيُ بوصفِهِ كتابةً ..... عبد الله الزعبي
- كأعمدةٍ نثرَتْها الرّنود ..... محمد القادري
- هل يُنافسُ أدبُ جرش أعمدتَها؟ ..... يزن عيد الحراحشة
- جرش دُرّةُ الحضاراتِ ووحيُ الثقافة ..... مهاب أحمد القاسم
- المشهدُ الثقافيُّ في جرش إلى أين؟ ..... محمود عقيل الزعبي
- جرش مدينةُ الثقافةِ الخفيّة في عيون الأردن ..... نسيبة المقابلة

شارع الأعمدة بجرش/ الأردن

أدبُ الشّبابِ في جرش أمومةُ الطّبيعة، وسطوةُ التّاريخ، والسّعْيُ إلى غدٍ مُشرِق

إعداد: وفاء زاهر خان

لكلّ واحدٍ منّا بيئته التي شكّلت هُويّته، والكاتب من أكثر الأشخاص الذين نجد أثر المكان كنطاق بيئيّ وحضاريّ وثقافيّ واجتماعيّ، منعكسًا على مُنجَزه الإبداعيّ، فهو المنطلق الأول لفهم الذات ومن ثمّ العالم.

في هذا المِلفّ نستكتب عددًا من الشّباب الذين يسعون إلى فضاء الأدب في محافظة جرش؛ لنرصدَ واقع أدبهم، وسماته، وعلاقته بالمكان، والمؤثّرات الثقافيّة والاجتماعيّة فيه، وهل كان لتاريخ محافظتهم تأثيرٌ على كتاباتهم؟ وكيف أثّرت المسافةُ بينهم وبين العاصمة؟ وسنتطرّق أيضًا إلى تأثير ثورة الاتصالات في تجاوز الحدود الأردنيّة أدبيًّا نحو الفضاء العربيّ والعالميّ.

شارع الأعمدة بجرش/ الأردن

جرش..
حكايةُ الكتابةِ التي لا تنتهي

وفاء زاهر خان

تُعَدُّ مدينة جرش واحدةً من أشهر المواقع الأثريّة والتاريخيّة المزدهرة على مرّ العصور، وهي مثال رائع لتطوّر الحضارات في الشرق الأوسط، فكلّ مَنْ تنفّس هواءها عرف مكانتها في النفوس، وبصفتي قاصّةً يانعةً، فإنّني أستنير بأشعة شمسها الدافئة التي تسقط على مكتبي في منزلنا الواقع في جرش، وتتراقص الأفكار في خيالي كما تتراقص أشجار الزّيتون والنّخيل مع هبوب الرياح في الجهة المقابلة من غرفتي.

توهمني الطبيعة، فيها معانٍ كثيرة، فيتولّد في خيالي ما يمكن الكتابة عنه، وأستذكر طفولتي ابتداءً من شجرة التفاح في حديقة منزلنا، إلى عيون الماء على قارعة الطريق، وإلى نسماتها العليلة في ليلها الهادئ، فأحنّ أكثر وأكثر، ويصيبني إلهامٌ فأكتب، تمامًا كما حدث حينما كتبتُ قصّتي الأولى (أسميتها أسمهان).

تملك جرش رونقًا يدفع الكاتب إلى أن يستوحيَ من جمالها نصوصه، كمنظر أعمدتها التي تحمل لونًا ورديًّا عندما تختبئ أشعة الشمس خلفها، فترسم لوحةً يجتمع حولها الناس من حول العالم. وبالإضافة إلى المدينة، فإنَّ لكلِّ قريةٍ فيها نصيبًا موروثًا من جمالها التاريخيّ العتيق والطبيعة الخضراء، فنجد الشّجر يملأ أرجاءها، فتبعث في النفس التأمّل والبُعد عن ضغط المدينة والحياة والعمل.

كنتُ أرى هذه العناصر مجتمعةً ومتّحدةً كلّما ذهبتُ إلى منزل جدّتي، فنجلس على درج المنزل في النهار، وأمامنا أشجار الزيتون المُعمّرة، ونستمع إلى حديثها عن التاريخ القديم لهذه المدينة، وتمتزج كلماتها بالانتماء لأرضها وأُناسها.

دائمًا ما أقول إنّ الإنسانَ نتاجُ البيئة التي عاش فيها، فتراه يندمج بشكلٍ ما معها، فتُشكّله وتصنع هُويّته، وتعيش معه تفاصيله، فتبعث في نفسه الفضول والشّغف أكثر وأكثر، وهذا ما اكتشفته لاحقًا بعد أن كبُرتُ وأخذني البُعد عنها، فأجدني مهما بعدتُ أرجع بقلبٍ يفيض منه الحنين.

وبالإضافة إلى سحرها الخاصّ عليّ ككاتبة، فإنّ لها أثرها أيضًا على الكُتّاب من قبل، فتجد الشعراءَ والروائيّين يتغنّون بجمالها، ويستنبطون منها أكثر الكلمات غزلًا ورقّة، منهم الكاتب أيمن العتوم، الذي عاش في قرية (سوف) في جرش، وما زال يستنشق نسيمها ويتنزّه في طبيعتها، فكتب أبياتًا في مديحها، وقال:

«يا سوفُ يا عطري إذا أنا لم أمل إلّا إليكِ، فللحبيب عذارُ
من فيض حبّك قد ملأتُ سريرتي، فلها إذا وشوشتُها الأسرارُ».

ومنها خرج الشاعر محمد محاسنة، الحاصل على لقب أمير الشعراء، وغيرهم من الكتّاب والشعراء الذين تربطهم علاقة غريبة بها كعلاقة المولود بأمّه، كان وما زال لها نصيبٌ من حياة كلّ واحد منهم، وتأثيرٌ قويٌّ عليهم وعلى كتاباتهم، فنشأوا منها كما أنشأتهم هي كذلك.

وكما برز جمالها برزت ثقافتها، فكان لها نصيبٌ من الدور الثقافيّ، ففيها مهرجان جرش الذي يتضمّن عروضًا متنوّعةً كالأمسيات الموسيقيّة والشعريّة. وفي عام 2015 تمّ اتخاذها مدينة الثقافة الأردنيّة، فحظيت بالأنشطة الثقافيّة المختلفة على مدار العام، وبذلك بدأ نطاقها بالتوسّع، وبدأت باستقطاب الأفراد إليها، ونما فيهم حبّ الاطّلاع أكثر، فأتاحت لهم الفرصة في إخراج نصوصهم للمشاركة في مسابقات وأنشطة عدّة، بعد أن تقوقع كلُّ واحدٍ منهم على ذاته، ولكنّ نصيب المحافظة من الفرص والأنشطة في المجالات الثقافيّة المتنوّعة، التي تناسب كافّة الفئات العمريّة، لم يكن كافيًا.

البُعد دائمًا ما يخالف رغباتنا، والمسافة لا تُرضي الجميع، فبُعد جرش عن العاصمة عمّان لم يُمكّن الكتّاب من الحصول على رغباتهم أو المشاركة في أنشطة معينة، إذ إنَّ الكُتّاب لا يحظون بدعم وافر في مجالاتهم؛ نظرًا لعدم توفّر الكثير من الفرص المتاحة كما في العاصمة، التي تتمركز فيها أغلب الأنشطة الثقافيّة ذات الأثر الإيجابيّ عليهم، فتمدّهم بطرقٍ جديدةٍ غير التي اعتادوا عليها، والتعرّف على أشخاص جُدد من نفس المجال وتطوير ذواتهم؛ حتى تتخطّى كتاباتهم حدود البلاد والوصول للعالميّة.

كنتُ قد انتقلتُ من جرش في السّنتين الماضيتين، ولمستُ ذلك في الحقيقة، كان الوصول إلى الندوات والأنشطة الأدبيّة أسهل بكثير في العاصمة، فالأنشطة الأدبيّة متوافرة، كلٌّ حسب مجاله، فشاركتُ في لقاءات عديدة، وحضرتُ ندواتٍ تعرّفتُ من خلالها على قاماتٍ قديرةٍ، وتقرّبتُ أكثر نحو مجال القصة القصيرة، فلاقيتُ دعمًا وفرصًا ألهمتني للاستمرار والاستنارة.

وعلى رغم ذلك، فقد سعت وسائل الاتصال إلى تقليل تمركز الكتّاب حول ذواتهم وتسهيل التواصل معهم، إذ تجد عمليّة التواصل بين الكاتب والكتّاب الآخرين، قد كسرَتْ حاجز البعد والمسافات، وقرّبتهم ممّن يشبهونهم في

المجالات الثقافيّة والأدبيّة، وساعدهم على تبادل الخبرات في تلك المجالات، والحصول على نسخ إلكترونيّة من الكتب والنصوص دون عناء، بالإضافة إلى سهولة الوصول إلى الإعلانات المعنيّة بالندوات واللقاءات الأدبيّة التي قد تحدث عن بُعد دون الحاجة للتواجد المباشر.

وعلى النقيض أيضًا أجد أنّ ثورة الاتصالات هذه قد أفقدتنا متعة التواجد في نفس المكان وعلى نفس الطاولة؛ للحديث والاستماع إلى بعضنا بعضًا، وتبادل النقاشات الحيّة التي استُبدِلت في أغلب الأحيان بالمراسلات فقط، وقلّلت من نطاق التوسّع الواقعيّ، كما أنّها لم تُتح الفرصة للكتّاب لإظهار أنفسهم وكتاباتهم بجرأة.

وعليه فإنّني أرى أنّ المراكز والجهات المسؤولة عن الثقافة في جرش، يجب أن يكون لها دور ونصيب أكثر في الأخذ بمواهب الكتّاب الشباب، وفتح المجال لكلّ واحد منهم في التعبير عن شغفه الأدبيّ بطرقٍ تناسب فئاتهم العمريّة، وأيضًا تقريب الأنشطة الثقافيّة وإتاحتها للجميع، وربما إعلام الجميع بوجود المجالات المختلفة من الكتابة، كالشعر والقصة القصيرة والرواية، وفتح المجال لكتّابها في التعبير بحرّيّة، واحتضان أعمالهم الأدبيّة، والسعي في نشر الوعي للنهوض بالثقافة.

كلُّ قصّةٍ أكتبها لها نهاية، لكنّ قصصي وحكاياتي لا تنتهي، وجرش بالنسبة لي حكاية لا تنتهي، فأعبر خلالها ومعها لعوالمي وقصصي الخاصّة، ويستمرّ قلمي باستمرار بهائها، فمهما بعدتُ عنها أعود إليها وأعود لطفولتي، ومع كلّ مرّة أعود فيها، سأعيش حكايةً جديدةً، وتولد قصّة قصيرة لأشاركها معكم.

محمية غابات دبين/ الأردن

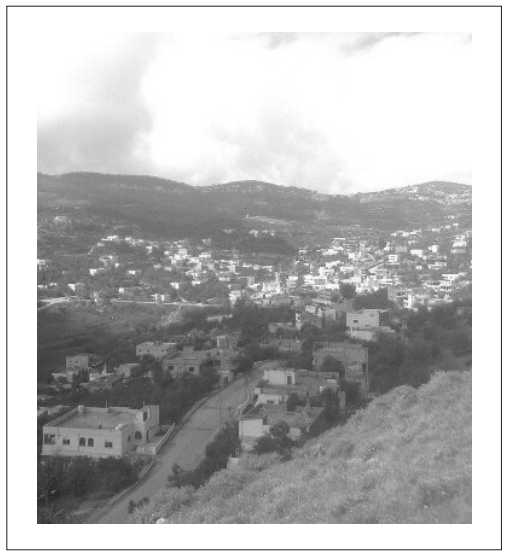

قرية نحلة بجرش/ الأردن

المشيُ بوصفِهِ كتابةً

عبد الله الزعبي

عشتُ قبلَ أن أنتقلَ إلى عمّانَ قبل سنةٍ من الآن، في قريةٍ ريفيّةٍ معجونةٍ بالطبيعة إلى آخرها، بدءًا من اسمها المتلألئ بالعسل، وهو (نحلة). في مدخل القرية حرشٌ صغيرٌ، وفي آخرها حيث بيتنا أحراشٌ كبيرةٌ، هي (دبين)، وبينهما كروم فيها شجر الزيتون بشكل أساسيّ وأشجار أخرى.

كان موقعُ البيت وبُعدُهُ عن مركز القرية بالنسبة لطفلٍ لا همَّ له إلّا المدرسة وواجباتها، وسيلةً للمشي، أن تمشي كلَّ يوم قرابة ساعة من آخر القرية إلى أولها حيثُ المدرسةُ الأساسيّةُ، لهو بكلّ تأكيد فسحة للتأمّل، وباعث على أن يصبح المشي عادةً أحبّها، بل إنَّ بُعدَ المدرسةِ عن البيت جعلني كيلا أتأخّرَ وأُعاقَبَ بضرباتِ العِصيّ على يديَّ وجوانبي سريعَ الخطى إلى يومنا هذا، أمشي بسرعةٍ وعلى عجلٍ، كأنَّ أمامي موعدًا لا أريد التأخّرَ عنه، وقد جعلني هذا دائمًا محطَّ تندّرٍ من أصدقائي.

لاحقًا كانت المدرسة الثانويّة في قرية أخرى، تضمّ طلابًا من عدة قرى، هي: (ريمون)، و(الكتة)، و(نحلة)، وعددًا من طلاب (ساكب) المُلتحقين بالتخصّصات المهنيّة، وظلَّ المشي لمسافات أبعد من ذي قبل رفيقًا لي، ولو تسألني الآنَ: مَنْ هو أحبّ الأصدقاء إلى قلبي؟ لقلتُ لك: إنَّه المشي.

في (نحلة) كانت هناك عدّة عيون ماء أغلبها جفَّ اليوم، وهناك وادٍ جميل يشقّ القرية، ويصل إلى سيل الزرقاء. كنتُ أنزل إلى ذلك الوادي في طريق العودة، وأقطف توتًا بريًّا من شجر العليق النابت على ضفّتيه، وأتأمّل الكينا والصّفصاف، ثم أواصل وأنحرف في منتصف الطريق إلى (عين رميل)، وأمشي في درب ترابيّة شقّتها خطوات الناس؛ كي أجلسَ قليلًا عند هذه العين، وأستمع لصوت الماء الهادر وهو يجري منها إلى الأراضي الزراعيّة المجاورة لها.

وحين أرجع إلى البيت، وأنتهي من تحضير دروسي، كنتُ أمشي في أرض جدّي حتى أصل أحراش (دبين) وأتجوّل فيها. في جولتي هذه كنتُ حريصًا على أن أعرفَ أسماء الأشجار البريّة من اللزاب والسّنديان والزّعرور والقطلب (الذي يُسمّى قيقب مع أنّه ليس كذلك، وتنبت عليه قطوف حمراء جميلة في الشتاء، كنّا نأكلها بلذة، ونسمّيها «اعْنِب دُبُّه»؛ أي عنب الدّبّ). كما كنتُ حريصًا على أن أعرفَ أسماء الزّهور والنباتات والأشواك التي تظهر في الربيع، وبعضها في الخريف، مثل الدّحنون، والأقحوان، والخزامى، والطيون، والبلّان، والقبّار، والعيصلان، وغيرها.

ومع أنَّ الكاتب لا ينشأ أساسًا إلّا بالقراءة، فكلّما قرأ أكثر ونوّع في قراءاته، أصبح أكثرَ قدرةً على التّدفّق في أفكاره وكتابتها بصيغة أدبيّة أو غيرها، فإنَّ هناك روافدَ مهمّةً أخرى تُغذّي الكتابة، تتعلّق بالبيئة والتنشئة، والتجارب والتّحرّك الحضاريّ، فمثلًا أنشأت مرحلةُ التّحرّر من الاستعمار، وفترة الأفكار الكبرى للوحدة العربيّة، والصّراعات التي مرّت بها المنطقة في ذلك الوقت، كُتّابًا وفنّانين رفيعي المستوى، منهم نجيب محفوظ، وبدر شاكر السّيّاب، وأم كلثوم، وجميعهم أحدثوا ثورةً في مجالاتهم.

وفي التجربة، نذكر كاتبًا مثل محمد شكري، الذي طحنته التّجارب حتى أصدر من قلبها روايات جميلة، مثل: (الخبز الحافي)، و(الشّطّار). ونذكر أيضاً شاعرًا عظيمًا مثل سعدي يوسف، الذي كان العالَمُ كلّه في شعره، وكان دائمًا على سفر وتنقّل من مكانٍ لآخر، وقصيدته نتيجة لذلك، وكما وصفتها مرّةً «ابتلعت الجغرافيا»، لهذا على كلّ كاتب أن يدعو في كلّ يوم أن يدخله الله في التجربة.

أمّا بالنسبة لي، فإنَّ الطبيعة هي الأساس في تكويني الثقافيّ، حتى إنّني حين أُلقي نظرةً من الخارج على ما أكتبه من شعر، أتخيّل إنسانًا يمشي ويوثّق ما يراه في مشيته، قصائده مكانٌ للطبيعة ولصراعاتها، وللفجر الذي يطعن الليل بسكينه الزرقاء فاتحًا المشهدَ للنهار، وللنجمة الشّعرى الغميصاء التي تبحث عن سهيل اليمانيّ في شمال السّماء، ولثمار التين التي تسقط حبّات الندى مثل قبلة عليها، فتلين وتنضج، ويسيل العسل من مشفريها.

تجد فيها الكثير من الأشجار والنباتات، تحتشد بأسماء الحيوانات والطيور، تحاول من خلال ذلك أن تخلقَ معنى للحياة والعدم، وتصنع للحجر جناحًا كي يطير، وترصد الموت نائمًا على شجرة السّرو، ثم ترمي عليه حجرًا كي يبتعد ويحطّ على شجرة أخرى، وتجعل الأمل يخرج من لبّ الصخرة كما تخرج منها زهرة عصا الرّاعي التي نُسمّيها في جرش «اجْرَيّة الحَمام»؛ لكونها تشبه ساق الحَمام.

الطبيعة هي الاستعارة الأساسيّة عندي، هي الكنانة التي أُخرج منها النشاشيب وأشدّ بها قوسي، ثم أضرب من غير تعيين حتى يسقط طائرٌ أو نجمةٌ في القصيدة، أو على شجرة من الأشجار، ولو أردتُ أن أجترحَ لنفسي لقبًا آخر غير لقب الشّاعر، لقلتُ لك: «المشّاء»، وسمّيتُ ما أكتبه «مشيات أو خطوات».

لكنَّ الطّبيعة وحدها لا تكفي، ولا القراءة كذلك، أنتَ في حاجة إلى الكثير لكي تصبحَ كاتبًا، التجربة ربما والمدينة أيضًا، والأهمّ

من ذلك كلّه التّحوّل الحضاريّ، ولو أردتُ أن أطوّر مفهوم المشي، لقلتُ إنَّ جرش الآن أقلّ من مدينة وأكبر من قرية بقليل، هي بالمفهوم الإنجليزي (**Town**) وليست (**City**)، أو مجموعة من القرى والمُخيَّمات.

ولو نظرنا إلى الأردن عمومًا، لوجدنا أنَّ جرش نموذج لها، بما في ذلك العاصمة عمّان، ولو أنّها نموذج أكبر قليلًا؛ أي إنّنا نعيش في تجمّعات تربطها روابط اجتماعيّة، ومن ينتقلون من هذه التجمّعات إلى العاصمة عمّان، يظلّ ارتباطهم بالمكان الذي قدموا منه، وعندما تسأل أحدهم: أنت من أين؟، لا يقول لك إنّه من عمّان بكلّ تأكيد، مع أنَّ نصف سكّان الأردن يعيشون فيها.

لهذا فإنَّ جرش والأردن كلّها في حاجة لأن تمشي وتتمدّد وتتوسّع؛ كي تصبحَ مدينةً أو مجموعةَ مدنٍ «عن جد»، فيها صناعة وزراعة، واقتصاد إنتاجيّ حقيقيّ، وتطوّر تكنولوجيّ يولّد الأفكار وينتجها، ويصنع الإنسان الذي ينتمي لحزب ونقابة عمّاليّة أو مهنيّة، كما ينتمي لعشيرة أو منطقة، أو أيّ رابطة اجتماعيّة أخرى، وأيضًا كي تتغلّب على الفراغ الحضاريّ الذي مرّت به، حالها في ذلك حال بلاد الشام كلّها، التي ظلّت منطقة صراعات وحروب، ولم تنشأ فيها حضارة متّصلة مثل تلك التي نشأت في مصر على سبيل المثال.

المشي هنا يعني الصّعود، والتنمية العلميّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، والتّحرّك المستمرّ، وهو مرتبط ارتباطًا عضويًا بموقعنا من عالم اليوم المحكوم بقبضة القطب الواحد، لكنّه بدأ مؤخّرًا يتحرّر من هذه القبضة ببطء شديد، وهو عكس السّكون الذي يولّد الأمراض الحضاريّة بمختلف تشكيلاتها.

هذا التّحوّل الحضاريّ، بما يؤدّي إليه من صناعة المدينة والإنسان المتمدن، والتجربة التي تصهر هذا الإنسان، هو برأيي أساس في صناعة الكاتب المؤثّر، ونحن لو نظرنا مثلًا إلى كُتّاب الأردن المعروفين عربيًا، لوجدنا أنّهم أصحاب تجارب كبيرة، إلى جانب كونهم قرّاء من الدرجة الأولى، مثل: عرار، وغالب هلسا، وأمجد ناصر، وتيسير السبول، وبالتالي فإنَّ الكتابة لا تأتي من القراءة وحدها، وتتضافر فيها الكثير من الخيوط، والكاتب والحركة الثقافيّة عمومًا هما مرآة للواقع الذي يعيشان فيه، إن كان واقعًا فقيرًا غير متنوّع، كان الكاتب والحركة الثقافيّة في الغالب كذلك.

قرية نحلة بجرش/ الأردن

معبد زيوس بجرش/ الأردن

كأعمدةٍ نثرَتْها الزّنود

محمد القادري

عليَّ الاعترافُ أولًا أنَّ فنَّ كتابة المقالة ليس سهلًا كما كنتُ أظنّه قبل أن أشرع في كتابة هذا المقال، فأنا شاعرٌ اعتاد قول الشّعر، وليس له عهدٌ بالكتابة حول الشّعر وقضاياه، وهذا نابعٌ من فكرة أنَّ الشّاعر يمارس اللغة ويُنجِز المُنتَجَ الأدبيَّ، ووظيفة الكتابة النقديّة لها أهلها الذين أمسكوا زِمامها وامتلكوا أدواتها وتمرّسوا فيها، وهذه هي المرة الأولى التي أحاول الكتابة فيها عن تجربتي الشّعريّة، فأنا أعتقد جازمًا أنَّ الشاعر ليس هو الشخص المناسب ليتحدّثَ عن تجربته، لكنّ الحديثَ عن جرش كنموذج لتأثير المكان في تجربة الشاعر، كان فكرةً مغريةً بالنسبة لي، فهي مسقط رأسي، والمكان الذي درجت على أرضه خطواتي الأولى، ونطقتُ فوقه حروفي الأولى، وتعثّرتُ في الشّعر مرّات ومرّات فوقه، حتى صرتُ شاعرًا له تجربة يتحدّث عنها.

هناك سؤال دائم الحضور في خاطري، وهو: هل يمكن أن تكون الثقافة على العموم، والإنتاج الفكريّ ومفرداته على الخصوص، في منأى عن تأثير المكان؟

إجابة هذا السؤال تفتح الباب على المشهد التاريخيّ الحضاريّ، بما يُبنى عليه من تجارب، وينتج عنه من منجزات، والمشهدُ التاريخيُّ مرتبطٌ بعُرىً وثيقةٍ مع الجغرافيا، التي هي المكان، بما يلازمه من عوامل طبيعيّة واقتصاديّة، وما تخلّفه من آثار اجتماعيّة وثقافيّة في هُويّة المجتمعات الإنسانيّة، ومن ثم التأثير في الإنسان نفسه، مُخيّلةً وذاكرةً ووعيًا، وكلّها من أدوات الإنتاج الثقافيّ.

في سنواتي الأولى وأنا أتلمّس أول طريقي في الشّعر، قرأتُ مقالةً نقديّةً عن المكان في شعر (حبيب الزيودي)، كانت الدراسة منصبّة على إبراز الأماكن التي ذكرها حبيب في شعره وتغنّى بها، وحبيب – بالمناسبة – مثال جليّ على أهميّة تعلّق المكان بالتجربة الشعريّة، وبالرّغم من حداثة سنّي وتجربتي آنذاك، فقد وقع في بالي أنّنا عندما نتحدّث عن المكان وأهميّته في التجربة الشّعريّة مثلًا، فإنَّ المقصود أبعد من فكرة كتابة قصيدة في الوصف، بل يتعدّى ذلك إلى أثر المكان على ذهنيّة الشّاعر وتكوينه النفسيّ، ومقوّماته ورؤيته ومواقفه، وحتى وظيفته الاجتماعيّة بصفته شاعرًا، فالمكان يُشكِّل الخلفيّة الثقافيّة والاجتماعيّة التي تتغذّى منها الأفكار والمشاعر والتجارب التي يُعبّر عنها الشّعراء.

المكان متعلّق تعلّقًا وثيقًا بالأنماط الاجتماعيّة والإنتاجيّة، ومن ثمّ هو متعلّق بالمنتج الثقافيّ ككلّ، ونحن نرى ذلك مثلًا في مطالع القصائد العربيّة القديمة، فالشّاعر إذا ذكر الأطلال لا يذكرها جزافًا، وإنّما يتمثّل أثر خُلوّها من أهلها وساكنيها في نفسه، وهذا يُحيل إلى فكرة أنَّ ساكني الصحراء يغلب عليهم التنقّل طلبًا للماء والكلأ، وربما لا يعودون إلى أطلالهم ومعاهدهم التي غادروها أبدًا، فيظلّ الشّاعر الجاهليّ يُخاطب منازل محبوبته ويسأل عن وجهتها، ويسأل الطير والريح والبرق عنها.

وقد ظلّ هذا المشهدُ حاضرًا في العصور اللاحقة، حتى في الشّعر النبطيّ الذي أنتجه شعراء الجزيرة العربيّة، بينما يظهر تأثير المكان مختلفًا مثلًا في الشّعر الأندلسيّ، حيث عاش أهلُ الأندلس في أرض وفيرة الموارد، أثّر هذا في أنماطهم الإنتاجيّة، فكانت مجتمعاتهم مستقرّة متمدنة، لا رحيل فيها ولا نزول، وانعكس ذلك على ظهور مفاهيم جديدة في مُنتَجهم الشّعريّ لم يعهدها العرب من قبل، مثل: وصال المحبوب، ومحادثته طويلًا، وعناقه وتقبيله، وتشييعه إذا خرج مودّعًا، إلى غير ذلك من المظاهر الجديدة في شعر الأندلسيين، وانعكس هذا التأثير بطبيعة الحال على شعراء العصر الحديث ممّن سكنوا المدن والعواصم العربيّة.

ولا بدَّ لأيّ شاعر سكن جرش أن يتشرّب تاريخ هذه المدينة العريقة ومُنجَزها الحضاريّ الفكريّ الممتدّ إلى قرون غابرة، فالتنوّع الجغرافيّ لجرش، وتنوّع التضاريس بين السهل والجبل والنهر، وفّر ثراءً وتنوّعًا سكانيًّا كبيرًا، ذاب فيه الفلّاح والبدويّ الذي يعيش على أطرافها، بالفلّاح الشركسيّ والشيشانيّ والتاجر الشاميّ، وغيرهم من عناصر هذه اللوحة الفسيفسائيّة الديموغرافيّة الزاهية.

كيف لا يكون شاعرًا وهو يفتح نافذته كلّ صباح على مشهد مُقتبَس من الجنة؟! تختلط فيه رائحة التراب المُبلّل من «مرهاش اشتا» برائحة الدالية التي تتسلّق معرّشًا انطوى على سهرات صيفيّة لا تمّحي من الذاكرة، وتأفل شمس نهاره يراقب أعمدة الدّخان الصاعدة من مدافئ الحطب، وهي تغيب خلال السّحاب المركوم.

على الصّعيد الشّخصيّ بصفتي شاعرًا يقول الشّعر العربيّ الفصيح، كان لجرش حضور مشهود في تجربتي الإنسانيّة أولًا والشّعريّة ثانيًا، فأنا برغم التّغرّب عنها مرّات ومرّات، وتفرّق سنواتي الماضية بين أكثر من عاصمة، ما زلتُ أراني فتىً قرويًّا عصيًّا على تعقيدات المدينة الحديثة وتسهيلاتها، واستمراء رفاهيّتها بين مكعبات الإسمنت الصّمّاء.

أرى الأشياء والمشاهد، فأحكم عليها بعين فتى قرويّ ارتوى من ماء قريته (دير الليات)، وصبغَتْ شمسُها وجهَهُ بسُمرةٍ لا تخفى، ومشى في طرقها حتى انبلّت نعاله، وآثر هدوءها الشديد على صخب المدينة وسرعة إيقاعها، ونهل من حكايا أهلها وأمثالهم، وشعرهم ونثرهم ونكاتهم، حتى أوقر رواحله، وأصغى مشدوهًا إلى أحاديث الجدّات وتمتماتهن ودعواتهن وتعاويذهن، وحكاياهن عن (اجريرة)، وعن قصص الصحراء وفرسانها وعشّاقها، فاستحالت هذه الأوابد معينًا يُغرَفُ منه، وربّما تفلّتت مفردات من لهجته الصِّرفة وتراكيبها إلى ما يخطّ من شعره، وكلّما خطرت جرش في بالي، أستحضر مشهد وقوفي أمام أعمدة معبد (أرتيمس)، أناظرها من أسفل إلى أعلى كليل الطرف، أسأل نفسي: أية عظمةٍ ضمّها هذا المكان المهيب؟!

ثمّة ما هو أعمق من ذلك كلّه، وهو شعوري بأنّني وريثُ حضارةٍ عظيمةٍ قديمةٍ تتابعت على هذه البقعة الجغرافيّة المُحدّدة، التي كانت ردحًا من الزّمن عاصمةَ المشرق وأهمَّ مدنه، تصدر عنها كلّ يوم قوافل التجارة إلى مشارق الأرض، وترد إليها أخرى من مغاربها، أجزم أنَّ هذه الأشياءَ مجتمعةً هي التي خلقت مني شاعرًا، وطوّعت لي الكلام، فانثال سلسًا فصبّته في قوالب الأوزان.

خلقت مني شاعرًا في زمن قلّ فيه جمهور الشّعر، بالرغم من ثورة الاتصالات التي قدّمت تحوّلًا جذريًا في كيفيّة تبادل المعلومات والثقافة عبر الحدود، بما في ذلك الحدود الأردنيّة نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ، من خلال التكنولوجيا الحديثة، كالإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعيّ، التي سهّلت التفاعل مع المجموعات والأفكار والمحتويات من مختلف الثقافات بسهولة وفعاليّة أكبر. نعم، يمكن القول إنَّ ثورة الاتصالات بالتأكيد ساهمت في قدرتي كنموذج لغويّ على تجاوز الحدود الأردنيّة نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ.

لكنَّ هذه التكنولوجيا على تقانتها وتقدّمها، لم تستطع تغييب التأثير الواضح للمكان على الإنتاج الثقافيّ الذي ما زال باديًا منذ بواكير الحضارة الإنسانيّة، رغم تحوّل العالم الكبير إلى قرية كونيّة، التي من المفترض أنّنا نعيش فيها.

وهكذا يمكن القول: إنَّ المكان كحاضن ثقافيّ واجتماعيّ يلعب دورًا حاسمًا في تشكيل الأدب والشّعر العربيّ، فهو أبرز عوامل الهُويّة الثقافيّة وملامحها، ومِداد الكتّاب والشعراء، والمنهل الذي يستقي منه كلّ واحد منهم تجربته.

شارع الأعمدة بجرش/ الأردن

من جرش/ الأردن

هل يُنافسُ أدبُ جرش أعمدتَها؟

يزن عيد الحراحشة

كانت وما زالت مدينتي تُعرَفُ بعمدانها الناهضات ألفًا فوق ربيعها، شاهدات على تراكم الحضارات، وما زلنا نروح عبوسًا حتى نغدوا مستقبلين قوس النصر (هادريان)، شاهدين على ما نحمل لهذه المدينة من ارتباطات.

لكن.. هل لجرش أقلام؟

ما زالت المدنُ الأردنيّةُ تئنُّ تحت وطأة النسيان، والوديان الخضر والهضاب الغُرّ ينادين فرسانها من أدباء وشعراء، فالناظر في خطّ التّسلسل الزّمنيّ للأدب الأردنيّ، سيجد ما أستطيع تسميته بالشّحّ في الوصف؛ نظراً للماضي الذي كسا ربوع الأرض شعرًا، فمن الألسنة النبطيّة، وانتهاء بحبيب الزيودي، كانت للأردن ألسنةٌ فِصاحٌ يصفونها، منهم شيخنا عرار، والعذب حيدر محمود، ولا أزيد ذكراً كيلا أنسى أحدًا ولا أسهب مددًا.

نماذج جرشيّة

جادت جرش على الأدب الأردنيّ والعربيّ بأصحاب جودة عالية، فها هو ماجد الزريقات يتغنّى ببلده وشعبه وجيشه، وها هو أيمن العتوم يصل أفاقًا بعيدةً بما يخطّ من أدب، وها نحن جموع الشّباب نسارع الخُطى ونوثّق الأقلام؛ لنحمل الإرث العظيم وطنيًّا وأدبيًّا.

وهل تستجلب أرضنا شعرًا؟

نعم، ونعم، ثم نعم.. فهي سيّدة الحسن، هي صاحبة خضار الأندلس ومروءة العرب، هي أمّ ألف ألف جميلة، وناقشة ألف ألف من تراويد العشق على قلب كلّ ساكن ومرتحل، ولا يجد الواحد منّا له موطنًا بدون غرغرة العيون وخفقان القلوب، فهي اللوحة البديعة، والأغنية التي يترنّم بها أهلها في كلّ فرح، ويخرّون سُجّدًا لربّهم في كلّ حزن.

شواهد

هذا عرار يبوح بالتمسّك:

قالوا تَدَمشَق قولوا ما يزال على
علّاته إربديّ اللون حوراني.

وحيدر محمود مترنّمًا:

أرخَتْ عمّانُ جدائلَها فوقَ الكتفين
فاهتزَّ المجدُ وقَبّلَها بينَ العينين.

وحبيب الزيودي:

فوقَ العواصمِ شمسُنا الزّهراء
أردنّ يا وطني وكفّك جدول.

لوحات بديعة

قلب عيونك دهشة، ولتأخذك أطرافك رعشة، وتبتلّ عشقًا على هذه التلاوين، على جداول المياه الصغيرة، على الورد مداعبًا خجل العشب، وعلى الشّمس اللطيفة ربيعًا، تحرّك، اذهب من عين التور صاحبة الجِنان الخضراء في جرش حتى البتراء المأخوذة دهشة من صخرها، لون عيونك بالخضار الشّهيّ والذّهبيّ البهيّ، انقل حفنة الرمل إيابًا، وانثرها فوق السّحر سحرًا، قلّب صفحات من سبقوك مُجالِسًا ما تركوا من آثار شاهدات على ارتباطهم العميق، ومعرفتهم الكاملة بجودة نتاج الأرض من خير.

تاريخ متراكم

بحر.. بحرٌ فوقَ بحر، فوقَ بحرٍ من الحضارات والثقافات، هذه الأرض معمورة من قبل العمارة، هذه صاحبة أقدم تمثال بشريّ، هذه خبّازة أول رغيف، هي متحف، متحف يريد دعوة العالم له بألسنة كلّ مبدع، سواء أكان أديبًا، أم رسّامًا، أم مصوّرًا، أم موسيقيًّا، فمن لها؟!

اكتبْ...

لا نجازي القمح حقّه حينما لا تنثر الكلمات نثره، فكلاهما يحصد خيرًا، ولا تتنصر الأقوام بدون شعراء، ولا يليق بالهضاب ألّا تطاول فنًّا ومجدًا! اكتب لأنَّ أرضك طيّبة وناسك يستحقّون.

فكيف ينفكّ الإنسانُ عن ارتباطه؟

التراكمات، تراكم البعد والحزن، وتراكم الحداثة التي انتزعت الناس من أرضهم نحو فضاءات لم يعهدوها، وبلدان لا يعرفون لها طعمًا ولم يروا لها أهلها، حالة العولمة التي فكّكَتْ كلَّ شيءٍ ونثرته في كلّ مكان، فقد تجلس الآن على كرسي في الحافلة متنعّمًا بألوان أرضك، بينما يسبح مجاورك على شاشته وسمّاعاتها نحو الفضاء الأبعد، والألوان المتشبّعة بزيف التكنولوجيا، والأصوات المختلقة مخبريًّا، فما الذي سيقنع هذا بكون أرضه هي الأجمل؟ وكيف سيصدّق أحاديث جدّه عن لذة التراب؟ حتى التراب منها.

كيف الخلاص؟

بالمشي، بالمشي مع تعرية الحواس، باستثناء ما يصادفها حقيقةً وصدقًا، اخلع أسلاكك، ثم طُفْ، طُفْ في بلاد فتن الله بها قلوب الناس، وسبّح باسم ربٍّ جعل لك منزلًا بهيًّا بلا جدران، فما الأدب إلّا انعكاسٌ لمكنون الأديب، وملامسٌ كلّ غزير من شعور.

مشكلة أخرى على صعيد البنية التحتيّة...

يصطدم الشابّ المتّقد بعد كسر كلّ عقبة، وتجاوز كلّ منعطف شخصيّ، بأنّه أمام طريق أخرى لا تقلّ وعورة، فمع تمركز الكثير من الفعاليات في العاصمة البعيدة؛ نظرًا لحالة الشباب الاقتصاديّة، بالإضافة لانقسامها بين (نوعيّ) قد لا يقبل وجوده؛ نظرًا لصغر سنّه، ومشاع لا يجد فيه ضالته؛ لما فيه من ركاكة وتمييع، وهذا ما يضع الطامح الكُفْء في مأزق إيجاد البيئة الحاضنة للنمو، ولا ننكر بعض المحاولات هنا وهناك؛ لتوفير منصّة ومنبر، لكنَّ الصورة بكليّتها مؤلمة.

مُعضلة الجمهور

الناس يهربون، يهربون بشكل مستمرّ من كلّ جميل، ومن تمام العلم أنَّ صعود أيّ تافه يعني حتميّة انطفاء مبدع، فلو تجاوز واحدنا مسألة الجمهور الكبير، فسيكابد مشاكل افتقاده لمصفّق أو لاعنٍ حتى! وإنّ مرتاد أيّ فعاليّة أدبيّة لصاعد، فسيرى جُلّ الجمهور من أقرب مقرّبيه المُجرجرين حبًّا أو كرهًا، وهذا ما يزيد الحيلولة عن الوصول الحقيقيّ.

الحركة النقديّة.. واقع مرعب!

لا وقود للحركة الأدبيّة مثل النقد الصادق الصريح، وأين هذا عنّا؟ لم نعد نرى تراميًا بالمقالات ولا خلافات أدبية كبرى، فلا يحصل الكاتب – على مختلف مستوياته – إلّا على مداهنة صديق أو لعنات كاره، فيطير فرحًا إن اصطدم بناقد موضوعيّ، وأين هذا المنشود، سواء في المحافظة الصغيرة أو في الوطن الكبير؟

نستسلم؟

صمود، صمودٌ بحجم اتساع جباه الناس وصدق قلوبهم، صمود زيتونات الجدّات وتينات الجارات، صمود كلّ أثر، وتمسّك بكلّ ثابت في زمن التمييع، هو الأدب الأطول عمرًا، وهي الأبيات الأجلّ أمرًا، فلا نتركهن انحلالًا وبين أيدينا حضارة تريد تقييدًا.

ليكن شعراؤنا ألفًا...

ليكن لكلّ عمود شاعره، فلنذهب حملة لاسم المدينة، لنمضِ بها، لنرمّم ما تمّ العبث به، لننزل المكان منزله أدبًا، قُرانا تستحقّ، والناس يستحقّون، والله يعلم والملائكة تشهد أنّنا من تراب جرش.

همسة وداع...

شكرًا لأنّك رافقتني بين الأسطر، وشكرًا لأنَّ هذه الحروف ستترك أثرًا، أو حتى تأخذ منك دقيقة قبل النوم، وكن على يقين بأنَّ للخير والجمال حتمية انتصار، ولا تجلس عن قضاياك، واحمل ترابك نجومًا، أخي...

شارع الأعمدة بجرش/ الأردن

شعلة مهرجان جرش/ الأردن

جرش دُرّةُ الحضاراتِ ووحيُ الثقافة

مهاب أحمد القاسم

تتمثّل تضاريس جرش المدينة بوادٍ مُحاطٍ من جميع الجهات بسلاسل جبليّة، تقبع على هذه السلاسل الجبليّة قرى جرش الوديعة الهادئة، فكان الخليط الجرشيّ بين الحضارة والرّيف جليًّا في أسواقها، وانعكس على البعد الثقافيّ للمدينة، ففي جرش طيفٌ مجتمعيّ مدنيّ مكوّن من الشركس، والشيشان، والشوام، والفلسطينيّين الذين يحتضنهم مخيما (سوف) و(غزة).

وفي جرش طيف آخر من القرى ينقسم إلى قسمين، أحدهما فلّاحي تمثّله القرى في غرب جرش وشمالها، سكّانه فلّاحون، مصدر رزقهم يعتمد على قطف الأشجار المثمرة والزراعات الحقليّة، وهم جبليّون في طبعهم، أمّا القسم الآخر فتمثّله قرى شرق جرش، يتّسم سكّانه بالبداوة من خلال تربية المواشي والتنقّل، وبذلك تشكّلت جرش بخليطٍ رائعٍ من أطياف المجتمع، ما انعكس على المنتج الأدبيّ والثقافيّ لشبابها.

ما لا تعرفه سيدي القارئ عن ثقافة الشباب الجرشيّ، أنّها رفيعة رفعة تاريخ جرش ورفعة تنوّعها العرقيّ الثقافيّ، فقد تعاقبت العائلات الأردنيّة على المكوث في جرش، وكان من أبرز هذا التنوّع وتلك العائلات، الشركس والشيشان الذين سكنوا حال وصولهم إلى المدينة، كما قطنها الشوام وبعض العائلات المسيحيّة، فتوجد فيها كنيسة ومسجد، وفندق قديم وساحات للتجارة، وفيها من معالم التاريخ الحضاريّ الذي انعكس على عنفوان ورفعة الأدباء الأجلّاء من جرش.

تأثّرت كتاباتي بالطبيعة الجميلة لجرش، فأنا ابن القرية الذي أبى أن يخرج منها أو تخرج منه، ونشأتي أثّرت في أسلوب كتاباتي، فارتبطت بسنابل القمح ومراحل نموها وتطوّرها من الخضرة حتى الاصفرار، فأصبحتُ أنسب الخير والأمل في السنابل المنحنية للقطاف، فهي تَعِدُ بمحصول وفير يوفّر بذارَ عامٍ جديد.

كما كان لطبيعة السهل والجبل حدّة في كتاباتي، فقريتي (بليلا) وهي إحدى قرى جرش التي تمتاز بعلاقة منسجمة بين الجبل والسهل، ففي طرفها جبل يطلّ على الشمال كاشفاً سوريا ولبنان، وفي نهايتها سهل يمثّل امتداد سهل حوران، فدمجت بين الثقافة الفلاحيّة الحورانيّة وبين الثقافة الفلاحيّة الجبليّة التي تنسب للبلوط والسنديان.

وبالنسبة للمناخ فإنَّ الكلمات تنساب انسياباً كينابيع (ساكب) و(سوف)، وتتلبّد أفكاري مثل غيوم تسوق الخير، فتمطر كما تمطر أمطاراً وثلوجاً في (ثغرة عصفور)، فالمزاج الشتويّ ودفء الشتاء يتمثّل جليّاً في أبرز ما أكتب.

وتطغى كروم العنب، وحلاوة التين، وزهور اللوز، وفيء شجر الجوز الوارف، وصفاء زيت الزيتون على ضنك العيش والمعاناة التي يكابدها كلّ مَن سكن جرش عبر التاريخ، وحرارة الصيف التي تكاد لا تذكر في كتابات الجرشيين؛ لما يعكسه نسيمها العليل وجوّها المعتدل، فجبالها تسوق النسيم معانقة به السماء، فكان لهذا كلّه أثر في إنتاج الثقافة والأدب لدى الجرشيّين وعلاقتهم بمدينتهم المحبوبة.

هذا البيت الجرشيّ الكبير المتنوّع بأطيافه، يأخذك إلى جوّ من التآخي والتفاعل والتأثّر بصناديد الأدب ورجالات الفكر من أبناء جرش الأبيّة، الذين كان لهم دور في المشاركة بصهر الثقافات منذ فجر التاريخ، وتدلّ عليها أعمدة جرش التاريخيّة، فهي ممثّلة بالحاضر الذي يُجسّد روح الثقافة ومعنى الأصالة لسكّان هذه المنطقة، إذ تحتضن مهرجاناً ثقافيّاً يُشار له بالبنان في تنوّعه وامتداده العربيّ والعالميّ منذ قرابة ربع قرن، فتفتح ذراعيها لضيوف من شتى أنحاء العالم، وتعرض لهم جمال تاريخها وسلاسة تعامل أبنائها.

أتاح لي هذا التنوّع مساحة كبيرة للتشبّع من الخبرات المتنوّعة من الأدباء السابقين، الذين ما زالت أشعارهم ومحاضراتهم وأصواتهم حيّة ما بين جدران مدرجات جرش العتيقة، وتزقزق الطيورُ بأنغامٍ عزفتها فرق متنوعة من ثقافات الشعوب التي زارت هذه المدينة العريقة.

هذا الجوّ يُجبرك على أن تعشق هذه المدينة وتعشق هواءها وسماءها وماءها، والكتابة فيها، ولا تبرحها أبداً، وفي كافة المحافل والمناسبات كانت تربطني صلة وثيقة مع المثقّفين والمتعلّمين في جرش، فقد كانت تجمعني بهم العديد من المناسبات الاجتماعيّة والوطنيّة، كانت وما زالت حاضرة في وجدان أبنائها، وتكاد تكون بوصلة نهتدي بها لنزيّن كتاباتنا.

تأبى جرش إلّا أن تفرض نفسها كعروسة الحضارات ودرة تاج الثقافات، فالعمر الحضاريّ لها قد بدأ منذ بدايات التقويم الميلادي؛ أي منذ ظهور المسيح، وكان حاضراً فيها حلف (الديكابوليس)، وشُيِّدت مدرجاتها وساحاتها لتحتضن شعراء الثقافات المتنوّعة، وتحتضن الإرث الثقافيّ العالميّ بحكم موقعها وطبيعتها الخلّابة.

من أراد أن يستعرض ثقافتها في مهرجانات (روما) ومناسباتها الوطنيّة التي شكّلت إكليل نصر يزفّ لأهل

روما أفراحها وانتصاراتها، وما زال حضورها عالميّاً على خريطة السياحة والثقافة العالميّة، ولم يغب عن بال الهاشميين الذين قاموا بإحياء تاريخها، فتجلّى ذلك في مهرجانها الثقافيّ الرائد، الذي يُعقَدُ كلَّ سنة مُعلناً لكلّ الحضارات باسم جرش بصوت عالٍ: «ها أنا موجود منذ الميلاد، شاهد على هذا التاريخ، محتضن كلّ نشاط ثقافيّ محتمل منذ الأزل».

يدفعني هذا التاريخ العريق لأكون على قدر عالٍ من المسؤولية الأدبيّة عندما أكتب، فأنا أمثّل جرش الممتدّة منذ الميلاد، فأضع في كرّاستي خطوطاً وحروفاً يمتدّ عمقها امتداد تاريخ جرش، وتحاكي انتصاراتها وعظمتها وعبق تاريخها، ورقّة مَنْ سبقونا من الأدباء والشعراء والمثقّفين والمفكّرين، الذين ولدوا وترعرعوا في رحابها وكنفاتها.

ومع ذلك فقد كان لبعد جرش عن العاصمة عمّان أثر كبير في ضعف مشاركة الشباب الجرشيّ الثقافيّة، وهذا ما تنبّهت له وزاره الثقافة مشكورةً بشكل سريع، عندما منحت الشباب في جرش بعض الأمسيات الأدبيّة كفقرات منتظمة من مهرجان جرش، ممّا أتاح لهم الوصول إلى الشهرة والعالميّة، أمثال الشاعر الشاب محمود محاسنة، الذي شارك في برنامج (شاعر المليون)، وكانت بداياته في حواري جرش وأزقّتها، مروراً بمهرجانها الذي يُعَدّ أيقونةً ثقافيّةً عالميّةً، تستطيع وزارة الثقافة أن تفخر بهذا الإنجاز الذي يُعَدّ حافزاً إضافيّاً لشباب جرش للمبادرة بعرض أفكارهم الأدبيّة، بقوالب تحافظ على هُويّة جرش التاريخيّة وإرثها التليد.

أمّا وقد أضافت التكنولوجيا مساحةً كبيرةً للتواصل، فإنَّ أبناء جرش من المثقّفين قد ارتادوا هذه المساحات لنشر ثقافة هذه المدينة، التي ما زالَتْ شاهداً على إرث ثقافيّ تسعى إلى بثّ أنواره في كافة أرجاء العالَم باستخدام الشبكة العنكبوتيّة على خير ما يمكن، وبالرغم من هذه المساحة، فإنَّ الشوائب التي خلّفتها هذه الثورة الثقافيّة والتكنولوجيّة تُعتبَرُ مثل الزّبد الذي يذهب غثاءً.

تستحقّ مدينة جرش أن يكون لها منتدى ثقافيّ عالميّ، ينتهج مبادرات فكريّة نابعة من الإرث الثقافيّ الوطنيّ الأردنيّ، والسّعي إلى توأمة هذا المنتدى، وتواصله مع المدن التاريخيّة التي تشبه تاريخ جرش الثقافيّ، ونشر وتبادل الثقافات مع تلك المنتديات من خلال استخدام التقنيّات الحديثة والعالم الافتراضيّ؛ من أجل أن يسود السّلام والمحبّة أرجاء هذا العالم المنهك، على أن تتضافر جهود الهيئات والمؤسسات العاملة مع الشباب؛ لتسليط الضوء على إبداعهم وبناء قدراتهم واستجذابها.

ستبقى جرش حاضرة التاريخ، وترفد المجتمع الأدبيّ بأبناء يحملون لواء الفكر والمعرفة، يحدوهم الأمل بغدٍ مشرقٍ ينير لجرش بقاءها حاضنةً للثقافة والفنون، ويبقى مهرجانها منارة تزيّن سماء الأردن بشكل دوريّ، وسنبقى أبناءها الأوفياء ما دام في القلب نبضٌ، وما دامت أنفاسنا تترنّم على نسيمها العليل.

مهرجان جرش/ الأردن

مدينة جرش/ الأردن

المشهدُ الثقافيُّ في جرش إلى أين؟

محمود عقيل الزعبي

نَهَرَني قلمي مرّات كثيرة عن نزع ورقة التُّوت عن بعض الجوانب المُشوَّهة والمُشوِّهة لواقع المشهد الثقافيّ في الأردن عامَّة وجرش خاصَّة، غير أنَّ الصَّمت عن الأذى مشاركة فيه، ولم أكن يومًا جاحدًا أو عاقًّا لمآثر الجمال والجلال في أردن العربيّة والعروبة، كما لم أكن عاقًّا للعربيّة التي صاغت بنان الأجيال من بنيها، وأحسنت بنيانهم اللغويّ وذائقتهم اللغويّة، سواء أكانوا من أبناء الأرياف، أم من البوادي، أم من مراكز المدن، فتمقّلوا بلاغتها في بيئاتهم المختلفة، بين الأسرة ورياض الأطفال، ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، والصحبة المثقّفة، ومطالعة الكتب والمجلّات الثقافيّة العامّة أو المتخصّصة، التي تنماز بلغة عالية الصورة والصيرورة.

شـهد العالـم نبـوغ أعـلام وسـموا التاريـخ العربـيّ بلغتهـم النبيلـة وبلاغتهـم الجليلـة، علـى تفاوتهـم في تحصيلهـم العلمـيّ، أمثـال: عـرار، وتيسـير السـبول، وجمـال ناجـي، وسـميحة خريـس، ومؤنـس الـرزاز، وغالـب هلسـا، وهشـام الغرايبـة، وعـدي مدانـات، وغيرهـم، فنزعتهـم نحـو العربيـة فاقـت حـدود جـدران المأسسـة التعليميّـة ومناهجهـا، ونهجـوا يجاهـدون لصقـل سـليقتهم، فجـادوا علينـا بـإرث لغـويّ ومعـرفيّ عمـلاق مـا يـزال يُخشَـع لجـلال أقلامهـم وبصيـرة حناجرهـم، بـل مـا نـزال نلحّ علـى حضـور بعـض منجزهـم في بنـاء مناهجنـا المدرسـيّة وخططنـا الجامعيّـة* .

لكنَّ التسـاؤل المشـروع: أيـن نحـن مـن كلّ ذلـك؟ وهـل حقًـا أفلتَـتْ قريحـة المشـهد الثقـافيّ؟

لعلّـي لا أغلـو إن اعتقـدتُ أنَّ سـياق حالنـا بـات يسـتدعي تضميـد جـراح اللغـة العربيّـة، ثـم العمـل علـى معالجـة منجزهـا بوسـائل متعـدّدة، فـلا توجـد هنـاك تنميـة دون ترسـيخ فعـل ثقـافيّ، ولا يمكـن صياغـة مشـروع ثقـافيّ دون اكتسـاب مهـارات قرائيّـة وثقافيّـة، ومشـكلتنا ليسـت اقتصاديّـة بالدرجـة الأولـى بقَـدْرِ مـا هـي ثقافيّـة، وبنـاء الإنسـان لا يتمّ إلّا بالثقافـة، فـإذا كنّـا عاجزيـن وغيـر مُدركيـن لـدور الثقافـة العربيّـة وأهميّتهـا في توعيـة وإثـراء فكـر أبنائنـا، وعملهـا علـى تهذيبهـم وتثقيفهـم وتلقينهـم أصـول القيـم والمبـادئ والمثـل مـن سـجلاتنا، فهـذه مصيبـة.

لعلَّ حالنـا اليـوم يقـارب تلـك الحالـة التـي شـاعت في القـرن التاسـع عشـر، حـين ظهـرت حـركات الإصـلاح والتنويـر اللغـويّ علـى يـد حركـة أُطلِـق عليهـا حركـة الإحيـاء والتجديـد، التـي توسَّـد زَنْدَهـا البـارودي، وشـوقي، وحافـظ إبراهيـم، وغيرهـم.

جـرش إلـى أيـن؟

إنَّ المشـهد الثقـافيّ في جـرش لا يختلـف أبـدًا عمّـا هـو عليـه في بقيـة محافظـات الأردن، فالثقافـة باتـت تـرزح تحـت مُـدى النزاعـات والخلافـات الشـخصيّة مـن جانـب، وتحـت أسـنّة الجَهويّـة والشـوفانيّة مـن جانـب آخـر، والمبـدع الحقيقـيّ القابـض علـى مبدئـه وفكـره، بـات طريقـه مفروشـاً بالجمـر، يشـقّه حافيـاً حتـى يصـل، لا يجـد مـن يأخـذ بيـده أو يربـت علـى قلمـه، إلّا إذا تلـوّن بلـون فـلان، أو اسـتظلّ بظـلّ فـلان، ولا أغلـو إن جزمـتُ بـأنَّ هـذا السـبب الـذي دفـع أغلـب المبدعـين إلـى اعتـزال المنتديـات والملتقيـات الثقافيّـة، التـي باتـت مقـرّاً للمجامـلات، فصـار النّـزوح إلـى مواقـع التواصـل الاجتماعـيّ والعالـم الأزرق هـو المفـرّ الأوحـد أمـام المبـدع، فيـه ينشـر قضيتـه، وفيـه يبـذر فكرتـه، ومنـه يحصـد شـغفه وطموحـه.

ولـو أمعنـا في جـرش لوجدناهـا تجمـع بـين الحضـارة والطبيعـة، وبـين التاريـخ والجغرافيـا، فمـن بوابـة (هدريـان) إلـى غابـات دبـين، ومـن سـيل الزرقـاء وسـدّ الملـك طـلال إلـى سـوف وثغـرة عصفـور، ومـن الخشـبيّة إلـى كفرخـل وبليـلا، نجـد ألوانًـا ثقافيّـةً حضاريّـةً زاخـرةً، انصهـرت في لوحـة فسيفسـائيّة جعلتهـا خـالاً يزيـد خـدّ الأردن جمـالاً.

وصاحـبُ القلـم منّـا لا يـرى الطبيعـة والحضـارة كمـا يراهـا غيـره، فالطبيعـةُ لـدى الكاتـب أو الشـاعر مصـدر رئيـس، فـ(دبـين) عنـدي لا تقـلّ أهميّـةً عـن دواويـن شـعراء المعلقـات، وشـعراء صـدر الإسـلام والأمويـين، وكلّمـا مـررتُ ببوابـة هدريـان، والمـدرج الرومانـي، وشـارع الأعمـدة، وسـبيل الحوريـات، رأيتنـي في قصيـدةٍ أبنـي مدينـةً تحاكيهـا، وكلّمـا مـررتُ بسـنديانةٍ أو بلوطـةٍ في ثغـرة عصفـور، عانقـتُ روحًـا خفيّـةً اسـتظلَّتْ تحتهـا قبـل مئـات الأعـوام.

جـرش منـذ أعـوام طويلـة رفـدت السـاحة الثقافيّـة الأردنيّـة بالعديـد مـن الكُتّـاب والشّـعراء، أمثـال طـه قوقـزة، وقيـس طـه قوقـزة، وأيمـن العتـوم، ومحمـد محمـود محاسـنة، ومهـا العتـوم، وعضيـب عضيبـات، ومحمـد تيسـير القـادري، وعبـد اللّه الزعبـي، وغيرهـم، فمـن في جـرش يعـرف أنَّ أيمـن العتـوم، وقيـس طـه قوقـزة، ومحمـد محمـود محاسـنة، ومهـا العتـوم، قـد وضعـوا جـرش وفي عـدة مناسـبات ثقافيّـة في الطليعـة

على مستوى الوطن العربيّ. ولو طُفْنا اليوم على أبناء جرش، وسألنا بشكل عشوائيّ عن هذه الأسماء، فكم عدد الذين يعرفونهم؟ أكاد أجزم أن لا أحدَ يعرف هذه الأسماء إلّا مَنْ له صلة مباشرة بهم.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أستذكر مسابقة (أمير الشعراء) بنسختها الأخيرة، إذ شهدنا قامةً ثقافيّةً سامقةً حملت راية الشّعر الأردنيّ بشكل عامّ، وراية المشهد الثقافيّ في جرش على وجه الخصوص، ووصلت بها إلى الدور النهائيّ من المسابقة، ولم نلمس وقفة حقيقيّة من مثقّفيها ومبدعيها من جهة، ولم نرَ سوى دعم خَجِل من المؤسّسات والمنتديات الثقافيّة من جهة أخرى، واقتصر الأمر على جهود عشائر (كفرخل)، وبعض الجهود الفرديّة من أصدقاء الشاعر ومحبّيه، كأنَّ نبوغ الشاعر مقتصر على عشيرته وأصدقائه.

إذن جرش تحتاج إلى هبّة ثقافيّة فكريّة ممنهجة وطويلة الأمد، تبدأ من تنظيم فعاليات توعويّة وتعريفية بهُويّتنا الثقافيّة في مدارسنا وجامعاتنا، وتنظيم حملات تعريفيّة بشعراء جرش وكُتّابها ومبدعيها في المراكز الثقافيّة المختلفة، وتنظيم ورش عمل في الكتابة الإبداعيّة شعرًا ونثرًا، ولا نعوّل كثيرًا على الفرديّة وحدها في المنجز الثقافيّ، فالفرديّة تعطينا مبدعًا حقيقيًّا واحدًا أو اثنين كلّ مئة عام تقريبًا.

قوس النصر بجرش 1867/ الأردن

لوحة الفنان إلياس طعمة/ سورية

جرش مدينةُ الثقافةِ الخفيّة في عيون الأردَن

نسيبة المقابلة

تلعب مدينة جرش دوراً هامّاً في التأثير كحاضن ثقافيّ واجتماعيّ في ما نكتبه؛ لأنّها مصدر الإلهام للأفكار التي نكتبها – على سبيل المثال – في حالة جرش، تاريخها الغنيّ والتراث الثقافيّ يُشكّلان مصدراً قويّاً للكتابة بتأثيرها بالطابع الثقافيّ والاجتماعيّ للمدينة، لا سيما أنَّ الكُتّاب السابقين أثّروا علينا بشكلٍ إيجابيّ، بتوفير رؤية مختلفة ومتعمّقة عن حضارة جرش وتاريخها.

وعلى الرغم من بُعد مدينة جرش عن العاصمة عمّان، فإنَّها استطاعت أن تحافظ على تراثها الثقافيّ وتطوّره بشكل استثنائيّ، فالمسافة الجغرافيّة أعطت جرش هُويّةً فريدةً شجّعت على تطوّر تجربة ثقافيّة مختلفة عن العاصمة، وأثّرت على موهبتنا الأدبيّة، وساعدتنا على التطوّر والنمو ككُتّاب.

تُعَدّ مدينة جرش واحدةً من المدن التاريخيّة والثقافيّة الغنيّة والحاضنة للعديد من المواقع الأثريّة والتراثيّة المهمّة، التي يمكن تعزيزها من خلال التوجيه الثقافيّ والتنسيق لتحديد الأولويّات وتنظيم الفعاليّات والبرامج الثقافيّة، والتمويل والدعم لتنظيم الفعاليّات الثقافيّة، مثل المعارض الفنّيّة، والحفلات الموسيقيّة، والعروض المسرحيّة، وورش العمل لدعم الفنّانين والثقافيّين المحلّيّين، وكذلك التوعية والترويج لتعزيز الوعي الثقافيّ لدى الجمهور المحلّيّ، وزيادة الاهتمام بالفنّ والثقافة، وتضمين حملات إعلانيّة وترويجيّة للاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعيّ والإعلام المحلّي لنشر الأنشطة الثقافيّة.

وأيضاً توفير المساحات الثقافيّة في صالات عرض فنّيّة ومسارح ومكتبات، ومراكز ثقافيّة متاحة للجمهور، والتعليم والتدريب من خلال توفير برامج تعليميّة وورش عمل ودورات تدريبيّة في مجالات الفنّ والثقافة والتراث؛ لتطوير مهارات الفنّانين والثقافيّين المحلّيّين، وتشجيع الابتكار والإبداع.

ساهمت ثورة التكنولوجيا والاتصالات في قدرتنا على توسيع نطاق حدودنا الجغرافيّة، والوصول إلى الفضاء الثقافيّ العربيّ والعالميّ للكُتّاب في الخارج، فالإنترنت يُتيح للكُتّاب والفنّانين في جرش الوصول إلى جمهور أوسع متنوّع ومختلف، وأيضاً تبادل أفكارنا وإبداعاتنا عبر منصّات التواصل الاجتماعيّ والمُدوّنات الشخصيّة؛ لتوسيع آفاقنا الثقافيّة وتطوير موهبتنا الأدبيّة.

تُعتبَرُ ثورة الاتصالات من أبرز التطوّرات التكنولوجيّة التي شهدتها البشريّة في القرن الحادي والعشرين، فقد أحدثت ثورة الاتصالات التي شهدناها في العقود الأخيرة تغييرات جذريّة في مختلف جوانب الحياة، وتأثّرت العديد من المجالات الحياتيّة والثقافيّة بما في ذلك عالم الثقافة والأدب والنشر.

وقد لاحظنا تأثير هذه الثورة على كُتاب جرش، من خلال سهولة الوصول إلى المعلومات، فبفضل التكنولوجيا الحديثة والإنترنت، أصبح من السهل الوصول إلى المعلومات والبحث عنها، وهذا يعني أنَّ الكُتّاب يمكنهم الاستفادة من مصادر متنوّعة ومتعدّدة للبحث والتوثيق، ممّا يُساعد على تحسين جودة المحتوى المُقدَّم في الأدب الثقافيّ لمدينة جرش.

وبفضل الهواتف الذكيّة والأجهزة اللوحيّة، استطاع القُرّاء والجمهور الوصول بسهوله إلى الكتب الإلكترونيّة والمحتوى الرّقميّ لجمهور أوسع وأكثر تنوّعاً، بغض النظر عن موقعهم الجغرافيّ، ومن المهمّ توفير النسخ الإلكترونيّة من الكتب؛ ليتيح ذلك للقرّاء شراء الكتاب وقراءته على الأجهزة الإلكترونيّة الخاصة بهم، ممّا يوفّر راحةً ومرونةً لهم، ويسهّل عليهم الوصول إلى المحتوى؛ بفضل سهولة الوصول إلى المعلومات، وتوفّر مصادر البحث المتنوعة.

ويمكننا تحسين جودة المحتوى ليكون أكثر تحديثاً وتوثيقاً وشمولاً، من خلال الاستفادة من الأبحاث الحديثة والمصادر الأرشيفيّة والموارد الرقميّة، وأيضاً تغيير طرق النشر والتوزيع لنشر مؤلفات الكُتّاب بسهولة وبتكلفة أقلّ، من خلال النشر الإلكترونيّ والتوزيع الرقميّ؛ للوصول إلى جمهور أوسع، وتوفير الوقت والجهد المرتبطين بالنشر التقليديّ، حيث إنَّ التغيير في أساليب الكتابة من خلال استخدام الوسائط المتعدّدة، مثل الصور والفيديو والصوت في كتاباتهم هامّ جدّاً، ويساهم في تحسين تجربة القراءة وجذب جمهور أوسع.

يحمل تاريخ جرش العديد من الأحداث والمعالم التاريخيّة التي تؤثّر على الكُتّاب الأدبيّين وتُلهمهم، ويُعتبَرُ التراث الرومانيّ من أكثر مواقع العمارة الرومانيّة المحافظ عليها في العالم خارج إيطاليا، إذ يوجد فيها شوارع معمّدة وحمّامات ومسارح، وساحات عامة وأقواس رومانية في حالة استثنائية. هذا التراث الرومانيّ الغنيّ يُلهم الكُتّاب الأدبيّين ويُعزّز خيالهم الإبداعيّ، من خلال الأثر الذي تركه الروم على المدينة وسكانها.

تاريخ مدينة جرش القديم والحضارات المتعاقبة عليها، يمكن أن يكون مصدر إلهام للكُتّاب الأدبيّين، ويعزّز فهمهم للتاريخ والثقافة، حيث توجد أدلة على وجود حياة بشريّة في المنطقة منذ العصر الحجريّ الحديث والعصر البرونزيّ، وفي ما يتعلّق بمواضيع الهُويّة والانتماء، وتأثير البيئة على الإنسان، فقد تشير الأبحاث الأثريّة إلى أنَّ جرش كانت مستوطنةً استيطانًا بشريًّا منذ أكثر من 7500 سنة.

وتساعد آثار المباني والفخاريّات المكتشفة التي تعود إلى حقبة المماليك والعهد الإسلاميّ المتوسّط، في إحياء الماضي في ذهن الكاتب وتصويره بشكل مثير وجذّاب للقرّاء، لا سيّما أنَّ حاضنة جرش للعديد من الآثار التي تعود إلى فترات زمنيّة مختلفة، بدءًا من العصور القديمة، مثل العصر الحجريّ الحديث والعصر البرونزيّ، تعكس تاريخ المدينة وتعزّز الوعي الثقافيّ لدى الكُتّاب الأدبيّين، ممّا يُمكِّنهم من استخدامها كمصدر إلهام لإنشاء أعمال أدبيّة تعكس هذا التراث.

ولا ننسى أنَّ أساطير تاريخ مدينة جرش والقصص الشعبيّة التي تُروى عن المدينة وسكّانها، تساهم في إثراء الأدب المحلّي والعالمي؛ لتمتّعها بأهميّة جغرافيّة كبيرة في رفد المواهب الثقافيّة عربيًّا ودوليًّا، كمهرجان جرش للثقافة والفنون، الذي جعل من المدينة مقصدًا للفنّانين في الوطن العربيّ والعالميّ، وأصبح واحدًا من أبرز المهرجانات الثقافيّة في المنطقة، إذ يُقدِّمُ عروضًا موسيقيّةً ومسرحيّةً، وفنونًا تشكيليّةً، وعروضًا أدبيّةً، ويُعَدُّ هذا المهرجانُ فرصةً للمواهب الثقافيّة للعرض للجمهور العربيّ والدوليّ، وتبادل الخبرات والمعرفة في ما بينهم.

إنَّ البيئة الثقافيّة التي تميّزت بها المدينة رُفِدَتْ بالعديد من الكُتّاب والفنّانين والشّعراء من المدارس والمعاهد الفنّيّة والثقافيّة التي تدعمُ وتطوّرُ المواهب الشابّة في مجالات مثل الموسيقى والتمثيل والأدب، كما توفّر المحافظة العديد من المساحات الثقافيّة والمعارض لعرض أعمال الفنّانين المحلّيّين والعالميّين.

تصوير الفنان أحمد الصرايرة/ الأردن

باختصار تُعَدُّ محافظة جرش في الأردن مركزًا ثقافيًّا هامًّا يجذب المواهب الثقافيّة العربيّة والدوليّة، وتراثها الثقافيّ الغنيّ، وموقعها الجغرافيّ الإستراتيجيّ جعلها تتمتّع بأهميّة جغرافيّة كبيرة في رفد المواهب الثقافيّة عربيًّا ودوليًّا.

في الختام تبقى مدينة جرش في عين وقلب الأردن؛ بتميّزها بمواقعها الأثريّة الرومانيّة والبيزنطيّة والعربيّة، وتاريخها العريق، وتراثها الثقافيّ الغنيّ يجذب الكثير من الفنّانين والمبدعين الذين يرغبون في استكشاف هذا التراث الثقافيّ العريق وتجسيده.

د. عماد الضمور / الأردن

ملتقى الأجيال

د. عماد الضمور / الأردن

ديانا دودو / الأردن

كاتبة وناقد
على طاولة (صوت الجيل)

الضمور:
الموضوعيّة أهمّ أسلحة الناقد في مواجهة النصّ والمتلقّي معًا

حوار: ديانا دودو

في هذا العدد من (صوت الجيل) تلتقي ديانا دودو، وهي كاتبةٌ في أول درّبها، بالأستاذ الدكتور عماد الضمور ناقدًا متمرّسًا وباحثًا حصيفًا، وتُقيم معه حوارًا معرفيًّا حول بعض القضايا النقديّة والإبداعيّة من جهة، تلاقي طموح الشباب نحو الأدب، بخبرة العارفين بهذا المسلك البشريّ الأهمّ.

يعمل الضمور أستاذًا للنقد والأدب الحديث في جامعة البلقاء التطبيقيّة منذ عام 2007، حصل من جامعة مؤتة على درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراة في اللغة العربيّة وآدابها، في الأعوام 1993م، و1997م، و2005م على التوالي.

وهو عضو في العديد من الهيئات الثقافيّة، منها: رابطة الكُتّاب الأردنيّين، وجمعية النقّاد الأردنيّين، ومجلس أمناء جامعة الزيتونة الأردنيّة (2022-2026م). وهو عضو هيئة تدريسيّة في قسم اللغة العربيّة وآدابها/ الجامعة الأردنية للعام الجامعيّ 2015/2016م (إجازة التفرّغ العلميّ)، ومحاضر غير متفرّغ في جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة للعام الجامعيّ 2011/2012م، وعضو اللجنة الاستشاريّة للمؤتمر الدوليّ «نهضة التعليم في الأردن في مئة عام» الذي نظّمته جامعة مؤتة عام 2021م بمناسبة احتفالاتها بمئويّة الدولة الأردنيّة.

شغل الضمور عدة مواقع إداريّة، منها: نائب عميد كلية الأميرة عالية الجامعيّة/ جامعة البلقاء التطبيقيّة لمدة ثلاث سنوات، ورئيس قسم العلوم الأساسيّة في كلية عمّان الجامعيّة للعلوم الماليّة والإداريّة/ جامعة البلقاء التطبيقيّة لمدة ثلاث سنوات.

اهتمّ بالأدب الرقميّ، حيث تجلّى هذا الاهتمام بتقديم منهج مساق متكامل لجامعة البلقاء التطبيقيّة من أجل تدريس مادة الأدب الرّقميّ كمتطلّب اختياريّ في كلّيّاتها؛ من أجل تهيئة الطلبة علميًّا للمنجز الرّقميّ الذي بدأ يسيطر على جميع العلوم. نشر ما يزيد على خمسة وعشرين بحثًا علميًّا مُحكَّمًا في الشّعر والنّقد العربيّ الحديث في مجلات وطنيّة وعربيّة متخصّصة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- شعر الشّعراء المنتحرين في الأردن، مجلة دراسات (العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة)، الجامعة الأردنيّة، المجلد 36، العدد 2، 2009م.

- سرديّة الشعر في ديوان (منمنمات أليسا) للشاعر محمد القيسي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانيّة)، نابلس، المجلد 23، العدد الثاني، 2009م.

- النزعة التأمّليّة في شعر فدوى طوقان، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانيّة)، المجلد 23، العدد الرابع، 2009م.

- أثر التصوّف في شعر حيدر محمود، مجلة دراسات (العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة)، الجامعة الأردنيّة، المجلد37، العدد الأوّل، 2010م.

- تشكّلات هدى في شعر نادر هدى، حوليّة الصوتيّات العربيّة الحديثة، المُحكّمة، جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر، العدد التاسع، ديسمبر، 2010م.

- المقاومة في شعر علي فودة، مجلة الجامعة الإسلاميّة، غزة (سلسلة الدراسات الإنسانيّة)، المجلد 20، العدد الثاني، 2012م.

أمّا ديانا فواز دودو، فهي كاتبة شابة من مواليد 1982م، حاصلة على درجة بكالوريوس في العلوم الحياتيّة والتحاليل الطبّيّة، ودبلوم في اللغة الإسبانيّة، روائيّة وكاتبة محتوى وقصص قصيرة ومقالات، لها مجموعة قصصيّة بعنوان (وخزة دبوس)، ورواية بعنوان (أبناء الأرجوان)، عملت في عدة مشاريع لكتابة المحتوى العربيّ والأكاديميّ في الأردن والوطن العربيّ.

تاليًا نص الحوار:

• ماذا يعني لك أن تكون أستاذًا ومشتغلًا في النقد؟ هل ترى الكون وفق زاويتك الخاصة؟

- لا شكَّ أنَّ مهنة التدريس مهنة مقدّسة نسمو بها، تأخذ صاحبها إلى فيوضات الروح، ونشوة التفاصيل المدهشة، فعندما أصبحت أستاذًا جامعيًّا أصبحت أكثر قربًا من البحث العلميّ بصيغته التطبيقيّة وآفاقه الرّحبة، شعرتُ بمسؤوليّة مضاعفة نحو طلابي الذين هم يحتاجون كلّ معلومة، دخلتُ من خلال الاشتغال بالنقد مرحلة تجربة إبداعيّة فيها من الشرف والتشريف ما يكفي لأن أجعل معظم وقتي في القراءة والكتابة؛ طمعًا في المزيد من المعرفة، ورغبة في متابعة ما يصدر من نصوص إبداعيّة شعرًا ونثرًا؛ بحثًا عن الصورة الأجمل والأنقى للإنسان والمكان، وما استقرّ في الوجدان الإنسانيّ من قيم وفضيلة وفنّ، هي أحوج ما يكون النصّ الأدبيّ لها.

أن تكون ناقدًا يعني أن تبحث عن المنهج المناسب لولوج النصّ، دون أن تكون تابعًا لسطوة المنهج، بل أن تكون واعيًا بأساليب الأدب وضروراته الفنّيّة، تستجيب لصوت النصّ بعيدًا عن شهرة المبدع، أو ما يقوله الآخرون عنه، وهذا يقود إلى نظرة الناقد إلى الكون، فما دام الإبداع متجدّدًا، فإنَّ النظرة إلى الكون تبقى متغيّرة ومتجدّدة، فالنصّ الأدبيّ يحمل من الأسرار ما يجعله كونًا مستقلًا، وروحًا تحلّق في كلّ مكان.

وهذا ما يجعلني أرى الكون في تفاصيل النصّ الإبداعيّ، فهو مراوغ ماكر، فيه من الإشارات والإيحاءات ما يجعل منه لغزًا حائرًا، يحتاج لمن يُحسن العزف على أوتاره ويستبطن أعماقه؛ بحثًا عن إجابات مقنعة لكثير من الأسئلة المُقلقة، فالروح الهائمة في النصّ هي سرّ الكون الذي أبحث عنه دائمًا، هي ما يبعث الحياة والجمال في النصّ الأدبيّ والكون معًا.

لا شكَّ أن التقاط الرؤية الكونيّة التي تشكّل مرجعيّة النصوص الإبداعيّة هي ما يبحث عنها النقّاد بشكل عام، وبالتالي صياغة مفاهيم منهجيّة قادرة على الكشف والرّصد والتفسير لكلّ ما يحجب الحقيقة عن الآخرين، لذلك أرى أنَّ المنهج النقديّ للناقد هو نقطة ارتكاز مهمّة تتأسّس من خلالها رؤية العالم، وإضاءة الكون بقيم الحبّ والجمال.

• بما أنَّ النقد لا يمكن أن يكون بلا حريّة، كيف ترى علاقة المجتمع العربيّ عمومًا بالنقد؟ هل يفهم هذا الدور؟ ومتى يمكن أن يصبح لدى المجتمع ذلك الوعي الناقد؟

– إنَّ الحديث عن الحرية النقديّة هو حديث عن وظيفة النقد الأساسيّة، وهي التحليل والتفسير، وتقييم الأعمال الأدبيّة، وهذا يتطلّب مزيدًا من الحريّة وصولاً إلى الحكم النقديّ، فالناقد ليس مُنظّرًا بالدرجة الأولى، وليس قاضيًا في الوقت نفسه، إنّه صاحب رسالة ومنهج، جندي يرابط على تخوم المعرفة، يبحث عن نصّ جميل، وقيم نبيلة، ولغة مدهشة، ينطلق من رؤيا جامحة ومنهج رصين، تجعله في مواجهة مباشرة وعنيفة مع المجتمع بمحمولاته السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة.

الإنسان الشرقيّ بطبيعته لا يتقبّل النقد بشكل عام، وبخاصة عندما لا يتوافق مع الرغبات الخاصة، أو القناعات الفرديّة، أو الثوابت الاجتماعيّة، وهذا جعل علاقة النقد بالمجتمع علاقة مأزومة، فكيف له تحقيق الموضوعيّة التي ينشدها في ظلّ هذه القيود؟

د. عماد الضمور / الأردن

في الحقيقة ما زال المجتمع العربيّ لا يفهم هذا الدور الذي يقوم به الناقد في علاقته بالنصوص الإبداعيّة؛ حمايةً لخصوصيته، وحفاظًا على مكتسباته الممتدّة، ورغبة في تطويع النقد للاستجابة الواقعيّة المؤطّرة برغبات الآخر بعيدًا عن قيم الحقّ والجمال، وهذا أسهم في إبعاد النقد عن وظيفته الأساسيّة، فعندما يرى الناقد خلافًا لما يراه أفراد المجتمع، فإنّه يجد صعوبةً في الإبانة عن رأيه، أو إصدار حكمه النقديّ بشكل واضح، وهذا يهدّد موضوعيّة الناقد ويجعلها أكثر تعقيدًا.

إنَّ تحقيق مزيد من الوعي المعرفيّ بضرورة العلم، وحاجة المجتمع للتطوير الإيجابيّ، وضرورة تحلّي الأفراد بمزيد من الموضوعيّة أمر ضروريّ لإيجاد علاقة متوازنة بين النقد الأدبيّ والمجتمع العربيّ؛ تحقيقًا لنهوض معرفيّ شامل. لعلّ تنمية مهارة التفكير الناقد، وقبول الآخر عند شريحة واسعة من أفراد المجتمع، أمر ضروريّ لتكوين وعي مجتمعيّ بالأحكام النقديّة؛ لتضييق هذه الفجوة القائمة بين النقد والمجتمع.

• لكونك مشتغلًا بالنقد الأدبيّ، كيف تختلف رؤية الناقد للنصّ عن القارئ العادي؟

القارئ العادي هو قارئ ذوقيّ، أكثر انفعالًا واستجابةً لإثارة النصّ الحسيّة، يمتلك رؤية جزئيّة وضبابيّة أحيانًا حول النصّ الأدبيّ، نقده شخصيّ لا يستطيع معه إصدار حكم نقديّ سليم، هدفه الأول هو الحصول على المتعة الجماليّة دون تعليل، أمّا رؤية الناقد للنصّ فمختلفة تمامًا، إنّها رؤية واثقة، تثير الإعجاب تارةً، والاستنكار تارةً أخرى؛ استنادًا إلى منهج نقديّ يختطّه لنفسه وصولاً إلى المتعة الجماليّة، وإعادة ترتيب أصوات النصّ وفق معايير موضوعيّة.

• الدور النقديّ يقوم على مستويين: الأول إبداعيّ، والثاني تحليليّ، هل يمكن للناقد أن يحافظ على تعادل هذين المستويين؟ وبالتالي يستبعد الأهواء الشخصيّة في مقاربة النصّ؟ كيف ذلك؟

إنّ الحديث عن مستويين في النقد: إبداعيّ وتحليليّ لا يمكن الركون إليه تمامًا؛ لتداخل العمليّة النقديّة المُعقّدة، فالمستوى الإبداعيّ فطريّ لا شعوريّ، أمّا المستوى التحليليّ فمكتسب أكثر قصديّة، وبالتالي لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لكنّني أرى أنَّ الناقد في المستوى الثاني ينبغي أن يكون أكثر انضباطًا في التحليل، مُنقادًا لصوت النصّ وجماليّته الفنّيّة، موضوعيًّا في أحكامه، لا يخون أمانته العلميّة والأخلاقيّة، يستدعي خبرته في القراءة النقديّة، ويبتعد عن الأهواء الشخصيّة، والأبواق الإعلامية التي تشكّل تشويشًا واضحًا لرؤية الناقد الفنّيّة، وتهديدًا صريحًا لموضوعيّته المأمولة.

• هناك بعض المشتغلين في النقد ناصبوا بعض الكُتّاب عدائيّةً واضحةً، متى يمكن للناقد أن يكون موضوعيًا؟

- نعود هنا مرّةً أخرى إلى أهميّة تحلّي الناقد بالموضوعيّة، التي لا يمكن أن تكون العمليّة النقديّة بدونها، حيث تبقى الروح الأخلاقيّة هي ضالّتنا المنشودة وسط هذا الزحام النقديّ، والتهافت الإبداعيّ لذلك، فإنّني أتعجّب لمثل هذه العدائيّة التي يبرزها بعض النقّاد لكتاب ما، أو كاتب ناجح هنا وهناك دون مسوّغ نقديّ سليم، يمارس خيانةً للقلم والعلم معًا، وهو عندما يفعل ذلك كان أكثر ضررًا على الناس وعلى عقولهم من أيّ شيء آخر، وهو أشدُّ تشويهًا للحقيقة، وأبعد إيغالًا في الخداع والزَّيْف في ما يكتب.

إنّها عدائيّة تعكس غياب الوعي المعرفيّ عند صاحبها، بل غياب الأخلاق أيضًا؛ لأنّها تبثّ خطاب الكراهيّة والفرقة معًا، إذ سرعان ما ينكشف هؤلاء النقّاد أمام القرّاء والمبدعين على السواء، فهم في النهاية لا يمارسون نقدًا منهجيًّا، بل يمارسون بثَّ أحقادٍ دفينةٍ بلا مبرّر منهجيّ أو أخلاقيّ.

وهذا يعني أنَّ الموضوعيّة هي أهمّ أسلحة الناقد التي يتسلّح بها في مواجهة النصّ والمتلقّي معًا، وهي ذخيرته الأخلاقيّة في مواجهة مجتمع المثقّفين، إذ يمكن لأيّ ناقدٍ التحلّي بها عندما يكون صادقًا في اكتناه القيم الجماليّة التي يعكسها النصّ المدروس، منسجمًا مع مشروعه النقديّ الذي يحمل قيمًا أخلاقيّة تنبع من ذاته، ويكون الانتماء فيها أولًا وأخيرًا للنصّ الأدبيّ، بوصفه ميراثًا إنسانيًّا مقدّسًا لا يقبل التدليس أو الإلغاء، لذلك فإنَّ توظيف المنهجيّة في التحليل النقديّ للأعمال الأدبيّة، واستخلاص المعنى بعمق، يُسهم مساهمةً فاعلةً في تقدير القيمة الفنّيّة للعمل الأدبيّ، وجعل الناقد أكثر موضوعيّة في نقده.

• يتردّد كثيرًا أنَّ النقد في هذه الأيام تراجع عن دوره، واقتصر على جملة من القراءات الخفيفة، هل حدث هذا؟ وإن حدث فما هي أسبابه؟

الأمر ليس بصورة التراجع للنقد بقدر ما هو عدم الثبات على المستوى الفنّيّ الذي يجب أن تعكسه العمليّة النقديّة، فتارةً نقرأ نقدًا جيّدًا ذا منهجيّة واضحة ومعايير قادرة على استجلاء بواطن النصّ، وتارةً أخرى نصطدم بنقد رديء منفصل عن النصّ الإبداعيّ والمنهجيّة النقديّة، وهذا مردّه في اعتقادي لتراجع ثقافة الناقد من ناحية،

وفوضى المشهد النقديّ؛ بسبب أدعياء النقد والخضوع لسلطة الإعلام التي باتت تزاحم المؤسّسة النقديّة في تقديمها لأديب وتجاهلها لآخر دون معايير نقديّة منهجيّة، وهذا أدّى إلى غياب كثيرٍ من القيم الفنّيّة والإنسانيّة التي يمكن إبرازها من خلال النصّ الأدبيّ.

من المؤسف أنَّ النقد في هذه الأيام يعاني من حالة ردّة ثقافيّة أو رجعيّة إبداعيّة في فهم طبيعة النقد، ورسالته الجوهريّة إن جاز التعبير، لعلّ من أبرز مظاهر هذه الردّة غياب الدقّة العلميّة أحيانًا، وشيوع الزَّيْف والثرثرة اللغويّة أحيانًا أخرى، الأمر الذي يتطلّب حركة تصحيحيّة، تعيد النقد الأدبيّ إلى مساره الطبيعيّ.

• قال جابر عصفور: «هذا زمن الرواية»، وهناك من رآها ديوانًا للعرب، فماذا تقول أنتَ لكونك ناقدًا معروفًا حيال الرواية العربيّة، وتحديدًا خلال السنوات الأخيرة؟

– أرى أنَّ الشعر ما زال الأب الروحيّ للفنون كافة، وإن تراجع في السنوات الأخيرة في ظلّ تداخل الأجناس الأدبيّة، ثم دخولها مرحلة الصراع لإثبات وجودها وهُويّتها الإبداعيّة، حيث نجحت الرواية في كسب الرّهان بوصفها جنسًا أدبيًّا امتصّ الأجناس الأخرى في بوتقته، وطوّعها لخدمة الحالة الإبداعيّة الجديدة، إذ أصبحت الروايةُ أكثرَ استجابةً لحاجات الإنسان وواقعه المأزوم وأحلامه النازفة، تحتفي بجوهر المعنى، وتستمدّ حضورها من ارتباطها الإنسانيّ، وإرثها السرديّ العميق دائم الحيوية والانبعاث في الفكر والوجدان معًا، فهي صورة لتفاصيلنا المدهشة ولغتنا المشتركة، وجراحنا العميقة.

إنَّ التراجع في المشهد الشّعريّ العربيّ منذ بداية الألفيّة الجديدة؛ بسبب قصور الشعر بشكل عامّ عن إيصال رسالته، جعل الفرصة كبيرة أمام الرواية لإثبات وجودها، وتعميق حضورها في المجتمع العربيّ، بعدما أضحت حالة ثقافيّة عامة، ذات انعكاسات فكريّة خصبة، تتشابك مع أزمات المجتمع العميقة، وتتعالق مع أفكار طبقاته المختلفة في سعيها المحموم لتجسيد الحريّة الفكريّة، بعيدًا عن الواقعيّة التسجيليّة بطابعها الكلاسيكيّ المعهود.

• هل هناك معيار معيّن لرؤيتك النقديّة للرواية؟ أم الرواية تفرض طريقة تعاطيها النقديّ؟

– إن كان من معيار نقديّ يوجّه رؤيتي النقديّة للرواية، فهو الصياغة الفنّيّة القادرة على الكشف والتفسير معًا؛ بحثًا عن علاقات خفيّة تنتظم المجتمع، وتؤسّس لوعي فكريّ ينطلق من أزمة الإنسان المعاصر، وعلاقته بواقعه المأزوم أيضًا، حيث أجد نفسي منساقًا إلى البحث عن تشكّلات الرواية المعاصرة بما تمتلكه من تقنيّات حداثيّة وصولًا إلى المتعة الجماليّة، ومتجاوزة السرد التاريخيّ الممل، أو التسجيل المباشر لأحداث المجتمع بعيدًا عن تشكيل روحه الباعثة على الحياة، لذلك فإنَّ الرواية القادرة على الغوص في المناطق الملتبسة بالأسئلة المسكوت عنها، والمتصارعة مع الآخر بعمق فكريّ ونضج فنّيّ، هي الرواية الجديرة بالقراءة.

وهذا يجعلني لا أتعاطى أيَّ روايةٍ نقديًّا إن افتقدَتْ رسالتها الحقيقيّة في الدهشة والتشويق، وابتعدَتْ عن إثارة الأسئلة التي تقود إلى فضاءات التأمّل، وتشكيل الوعي المعرفيّ العميق بالقضايا الإنسانيّة المعاصرة.

• لك العديد من الكتب والإصدارات النقديّة، وفي كثير منها درستَ المكان الأردنيّ بشكل قويّ، هل تخشى على الأماكن التقليديّة الأردنيّة من زحف الإسمنت؟

– بداية لا أنظر إلى المكان بطبيعته الجغرافيّة أو الواقعيّة القائمة، بل أنظر إليه بوصفه طللًا من الناحية الفنّيّة، يبقى أثره خالدًا على مرّ السنين، نحتفظ بذكرياته وننتشي بعبقه الساحر، ونستلهم من قصصه معاني البطولة والبقاء، هي أماكن لا تفنى ولا تغادر قلوبنا، وإن استطال البنيان، لذلك فإنّني لا أخشى على المكان الأردنيّ المعشوق من زحف الإسمنت الذي تعاني منه الأماكن الجميلة في العالم كلّه؛ لأنّه مكان راسخ في الوجدان لا يندثر بفعل الإسمنت المادي.

لقد اتّجهتُ في ما كتبتُ عن المكان الأردنيّ إلى روحه، وذاكرته الزاخرة بالحكايات، وسجله الإنسانيّ العميق، وقوة

حضوره الممتدّ عبر الأجيال، فعلاقة المبدع بالمكان من العلاقات العميقة التي ترتبط بدلالات نفسيّة ووجوديّة، وتاريخيّة وإيمائيّة، يصهرها المبدع في نسيج متماسك جماليّ يُؤسّس للامركزيّة الإنسان في العالم، وروحانيّة الأمكنة.

• تتابع عن كثبٍ الأدبَ الأردنيَّ، من هنا نسألك: كيف ترى الأدب الأردني؟ خاصة الرواية التي هي بطبيعة الحال تعبّر عن طبقات المجتمع بكلّ تفاصيله الثقافيّة والفكريّة، والاجتماعيّة والسياسيّة؟

– الأدب الأردنّي ما زال بخير، وإن تراجع الشّعرُ بعض الشيء لصالح الرواية، التي تحرّرت من الواقعيّة التسجيليّة الموروثة منذ نكسة حزيران 1967م، متأثّرة بما أحدثته المتغيّرات العالميّة والتطوّرات العلميّة من هزّة فكريّة ومعطيات جديدة أكثر تعقيدًا، أنتجت ثورة من الجدل والشّكّ بما كان يُعَدّ سابقًا أنّه فكر راسخ، إذ حقّقت الرواية الأردنيّة بعد عام 1990م، تحوّلًا مهمًّا في تصوير البيئة الأردنيّة والمكان الأردنيّ بكّل صدق، فأصبحت أكثر تعبيرًا عن قضايا المجتمع الأردنيّ وهموم الأردنيّين وأمانيهم.

لقد تحوّلت الرواية الأردنيّة في الألفيّة الجديدة إلى مرحلة جديدة، تنتقل من البحث عن الحريّة التي صوّرتها روايات القرن المنصرم، إلى مرحلة تجسيد الحريّة الفكريّة، والانتقال من الواقعيّة التسجيليّة إلى عوالم جديدة من السرد وتقنيّاته المدهشة.

لا بدّ من التأكيد على قضية مهمّة، وهي أنَّ هذا الحضور للرواية الأردنيّة عربيًّا يُحتّم عليها ضرورة المحافظة على هذا المُنجَز، ومن ناحيةٍ أخرى يضع الروائيين أمام مسؤوليّاتهم في إبداع رواية عصريّة بتقنيّات فنّيّة قادرة على بعث الأفكار في وجدان المتلقّي، وإحداث حالة فكريّة ذات رؤية مستنيرة تتجاوز انكسارات الواقع وإخفاقاته، وتبني جيلًا جديدًا من القرّاء، قادرًا على إحداث التغيير المنشود بعدما أضحت الرواية فنًّا يطرح الأسئلة العميقة.

• شاركتَ في كثيرٍ من اللجان الثقافيّة ولجان تحكيم الجوائز، لماذا يكادُ النقّادُ والمبدعون الأردنيّون يغيبون عن لجان تحكيم الجوائز العربيّة المهمّة؟

– إنَّ غيابَ النقاد والمبدعين الأردنيّين عن لجان تحكيم الجوائز العربيّة المهمّة، قياسًا بحضور النقّاد العرب، مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بحضور الإبداع الأدبيّ الأردنيّ عربيًّا، وضرورة تسويق المبدع الأردنيّ خارجيًّا، بتكثيف نشر إبداعاتهم، وإقامة الندوات والمؤتمرات المتخصّصة، ومعارض الكتاب التي تُقدّم المُنتَج الإبداعيّ الأردنيّ عربيًّا بهُويّته الأصيلة وقيمه الموروثة، ودوره العروبيّ الممتدّ، بعيدًا عن خطاب التهميش والإقصاء.

وقد أخذت وزارة الثقافة الأردنيّة على عاتقها القيام بهذا الدور الريادّي الذي يحتاج إلى دعم المؤسسات الثقافيّة الخاصة، ودور النشر الأردنيّة، كذلك من المهمّ قيام النقّاد الأردنيين بتكثيف جهودهم النقديّة التي تدعم حضورهم العربيّ بشكل فاعل ومؤثر.

• نرغب في أن تأخذنا في جولةٍ إلى مكتبتك، ما نوع الروايات والكتب التي تفضّل قراءتها؟

– علاقتي بالكتاب علاقة وثيقة وممتدّة، بدأَتْ منذ أيام المدرسة، واستمرّت بخطى واثقة؛ إيمانًا منّي بأنَّ الكتاب هو مصدر المعرفة الأول، لذلك فمكتبتي زاخرة بكتب الأدب العربيّ والتاريخ الإسلاميّ، والموروث السرديّ العربيّ، وأدب الرحلات، ودواوين الشعر العربيّ، فضلًا عن الأدب المُترجَم والأساطير، وكتب النقد الحديث بمناهجه المختلفة واتجاهاته الفكريّة المتجدّدة. أمّا الروايات فهي فاكهة هذه المكتبة؛ لتجدّد مضامينها وتعدّد أساليبها الفنّيّة في السرد، وارتباطها الوثيق بالإنسان العربيّ المعاصر وأزماته النفسيّة والفكريّة، وعلاقته المأزومة بالمجتمع.

أقرأ كلَّ ما تقع عيني عليه من كتب، لكنّني أجد نفسي منساقًا إلى كتب النقد الأجنبيّ ذات الصلة بالمناهج النقديّة الحديثة، والمرتبطة ارتباطًا وثيقًا بنظريّة الأدب، وبخاصة في ظلّ ما تشهده الفنون الأدبيّة من تداخل أجناس واضح،

وتشابك أسلوبيّ عميق. وفي مجال الرواية أجد نفسي في الروايات التي تجسّد المشاعر الإنسانيّة الخالدة؛ لأنّني أرى أنّها ترسّخ الأدب الإنسانيّ في أسمى معانيه.

• كما تعلمُ هناك جيل أدبيّ من الشباب يتشكّل في هذه المرحلة، كيف ترى تجربته؟ وهل تواكب نتاجاتهم نقديًا بخلاف القطيعة التي حلّت بينهم وبين جيل المكرّسين؟

– لنعترف بدايةً أنّنا مقصّرون نحو ما ينتجه الشباب من إبداع، إذ تحتاج هذه الحالة الجديدة من الإبداع الشبابيّ إلى اهتمام نقديّ، يقوم بالكشف والرصد والتقويم معًا، ويواكب نشاطهم الإبداعيّ المتجدّد؛ لأنَّ هذا الجيل هو الأقدر على تجسيد الواقع المتغيّر إبداعيًا؛ لما يمتلكه من مقوّمات فكريّة وتكنولوجيّة، وأساليب فنّيّة مختلفة.

أقرأ نتاجهم بين فترة وأخرى، لكنّني أجد صعوبةً في اكتشافهم أو التعرّف عليهم إبداعيًا؛ لعدم توفّر المنابر الكافية لهم، ولعلّ ما تقوم به مجلة (صوت الجيل) من جهود موصولة ومباركة في هذا المجال، يُسهم مساهمةً فاعلةً في تقديم هذا الجيل الواعد من الشباب للقرّاء والنقّاد على حدّ سواء، وفخرنا دائم بقلمهم السيّال، ونتوقّع منهم المزيد من الإبداعات، نتعهّدهم إبداعيًا؛ ليتوهجوا كبارًا بالفكر والإبداع، بعدما تفتّقت موهبتهم الإبداعيّة، وأصبحت في حاجة للرعاية والتوجيه؛ مساهمةً في رفد عقولهم بالثقافة والفكر السليم.

لا بدّ هنا من الإشارة إلى أهمية إيجاد نقّاد أو جهة ثقافيّة قادرة على اكتشاف المواهب الجديدة، ممّا يُلفت النظر إلى ضرورة عقد مزيد من الأنشطة وورش العمل للكشف عن المواهب وتوجيهها، وهذا يرتبط بضرورة تحرير المبدع من الخوف حتى يُبدع؛ لأنَّ كثيرًا من المبدعين لم يُفصحوا بعد عن إبداعاتهم الحقيقيّة؛ بسبب الخوف من طبيعة نظرة الآخرين لهم، أو لعدم ثقتهم بأنفسهم، أو لعدم توفّر وسيلة النشر، أو الجهة الداعمة، وهذا يستدعي رعاية نفسيّة واجتماعيّة وفكريّة خاصة لهذه الفئة من المبدعين.

نقرأ في نتاج هذه الأقلام الواعدة تباشير خير قادمة، فكم من مبدعٍ يُصرّح في مقابلةٍ ما أنَّ روافد إبداعه هي مرحلة الطفولة بكلّ معطياتها، إذ إنّ العودة أو النكوص والارتداد للطفولة، هي عودة للذات وانتصار لرغباتها العميقة وآمالها العريضة، وإحياء لذكرياتها الدفينة.

• هناك إقبالٌ كبيرٌ في الأردن على الكتابة خاصة من جيل الشباب، ما النصيحة التي يمكنك أن تقدّمها لهم لئلّا تفشل مساعيهم؟

– إنّ تعزيز جوانب الخير ومكافحة خطاب الكراهية والعنف، أمر مهمّ في إبداع هذه الفئة من الشباب، وذلك باختيارهم نماذج بشريّة في أعمالهم أكثر إيجابيّةً وتصويرًا للشائيّات المنتجة للصراع الفنّيّ بتعالقاته الفكريّة المختلفة، وضرورة تعزيز الجوانب الإيجابيّة في شخصياتهم الإبداعيّة.

وأتوجّه لهذه الفئة من المبدعين بضرورة إيجاد معادلة متوازنة في إبداعهم، تربطهم بالتراث دون إهمال الواقع المعيش، كذلك أهميّة الارتداد إلى الذاكرة بوصفها مصدرًا خصبًا للأفكار، والقراءة المتجدّدة لمصادر المعرفة الإنسانيّة، وأخيرًا عدم الالتفات لكلّ المُثبّطين للعزائم، والسير بخطى واثقة إلى الأمام.

- قصّة النّجوم ..... نورهان البسيوني
- رغدُ العذاب ..... لورنس السكر
- نقوش ..... سامح أدوار سعد الله
- ذاكرةٌ في مَصحّةِ الزّمن ..... محمد كنعان
- نشيجُ المُعمِّرات ..... مهند الرفوع
- وعاء ..... خلود الإبراهيم

قصّة النّجوم

نورهان البسيوني

أشعرُ بالهواء يلفح وجهي، وبصقيعٍ يدوي عظامي، انتصبتُ منتظرةً (التاكسي) يأتي إليَّ بعد أن طلبته من التطبيق، أقف أمام لافتة (جروبي)، تعطي انعكاساتٍ لونها أخضر على السيارة التي أمامي، أراقبُ الشارعَ مترصّدةً رقم السيارة أن يأتي إليَّ. نظرتُ إلى أعلى لأرى النجوم متلألئة بشكل بعث في قلبي السعادة، إلى أن أتى التاكسي وقعدتُ في المقعد الخلفيّ من السيّارة، وفتحت النافذة لأُخرج رأسي منها؛ للنظر بتمعّن في النجوم.

أعلم أنَّ المسافة من وسط البلد للتجمّع الخامس خمسٌ وأربعون دقيقةً، وهذا وقتٌ كافٍ لتأمّل سحر النجوم في تلك الليلة، لا تشغلني برودة الهواء التي تلفح وجهي، النظر إلى النجوم كان يُعطّل شعوري ببقية أعضائي.

أتذكّر أنا وأبي دومًا ننظر إلى أعلى السماء لنسترق النجوم، السماء دومًا هي موطن أحلامنا، على كلّ نجمة نطبع حدثًا نتذكّره معًا. كبرتُ واتّخذتها عادةً بأن أفتح نافذة الحجرة وأتطلّع للنجوم، ومع كلّ نجمة أراها أدوّن حدثًا في كشكولي الذي أيضًا غلافه على شكل نجوم صفراء، أهداه لي أبي عند تخرّجي من الثانويّة العامّة، مع حجم النجمة أدوّن حجم الحدث الذي أثّر فيَّ وشكّل في شخصيتي، وفي أعلى الصفحة أكتب تاريخ اليوم.

أفتقد أبي بشدة، أشعر بخواءٍ من بعده، يومَ فقده شعرتُ بانطفاء نجومي، كشارعٍ مظلمٍ من غير عواميد

إضاءة، عاهدتُ نفسي أن أراه عبر النجوم كلَّ ليلةٍ قبل دسّ نفسي في السرير، مع كلّ نجمة أراها أتذكّره بحدثٍ جمعنا سويًّا، جمعتُ النجومَ وازداد عددها بسقف حُجرتي، وذلك عند شراء نجوم مضيئة تُلصق في أسقف الحجرات، يُضاء لونها إلى (فلورسنت) أصفر عندما ينطفئ نور الحجرة؛ لتصبح هي فقط مكان بقعة إرشادك في ظلمات الحجرة، يمكن لهذا السبب اتّخذوا النجومَ نوعًا من الإرشاد الضوئيّ عند بادية الصحراء.

أضحك في سرّي على موقفٍ لا يغيب عن ذاكرتي، وهو لحظة حصولي على الدرجة النهائيّة في الحساب، فأرادت مُدرِّستي أن تكافئني على مجهودي بوضع لاصقة (اسْتكير) على شكل نجمة، كتعبيرٍ عن تفوّقي، لماذا شكل النجمة يرمز إلى التفوّق دون بقية الأشكال كالدائرة أو المربّع مثلًا؟ هل النجوم تعني التفوّق؟

أدخلتُ رأسي داخل نافذة السيّارة، وفتحتُ هاتفي، أخذتُ أقلّب بإصبعي على تطبيق (إنستجرام) وأسفل الصورة، فوجدتُ خبر «إحياء النجمة إليسا حفلةً في الكويت»، عند رؤيتي لكلمة نجمة، حاولتُ أن أضحكَ في سرّي أيضًا، ولكن رأيتُ سوّاق التاكسي من المرآة الخلفيّة ينظر إليَّ في ريبةٍ.

ما زال الموبايل مضيئًا، فانتقلتُ بإصبعي إلى تطبيق (يوتيوب)؛ لأرى قدرًا مقطع (تيمون وبومبا ومعهم سيمبا)، ظننتُ أنّه مقطع أغنية، فأدخلتُ يدي بداخل حقيبتي لإخراج السمّاعات، وضعتُها في أذنيَّ، وإن فوجئتُ بأنّها ليست مقطعَ أغنيةٍ، ولكن يتمعّن (سيمبا) وأصدقاؤه في النجوم أشكالها، وأيضًا تلك العادة مكتسبة منذ زمان، أريد أن أعرف ذلك السِّرَّ وراء النجوم.

شردتُ لذكريات الحبّ الأول، وضحكتُ عندما قال لي: «حاجيب لك النجوم بإيديَّ». هل النجومُ وعدٌ، أم تمنٍّ، أم ذكرياتٌ محفورةٌ في ثنايا قلوبنا؟ هل نحن نلاحق النجوم أم النجوم هي التي تلاحقنا؟

بعد دوران كثيرٍ من الأسئلة داخل رأسي حول النجوم، سمعتُ سوّاق التاكسي يبلغني أنّي وصلتُ للنقطة المحدَّدة، التي قمتُ بتحديدها عبر التطبيق. حملتُ حقيبتي ونظرتُ نظرةً أخيرةً إلى النجوم، والتقطتُ صورةً بالهاتف، شكل النجوم فيها ساطع متلألئ كألماسةٍ مركّبةٍ في خاتم نفيس؛ لأسجّل ذكرى مسألتي عن النجوم.

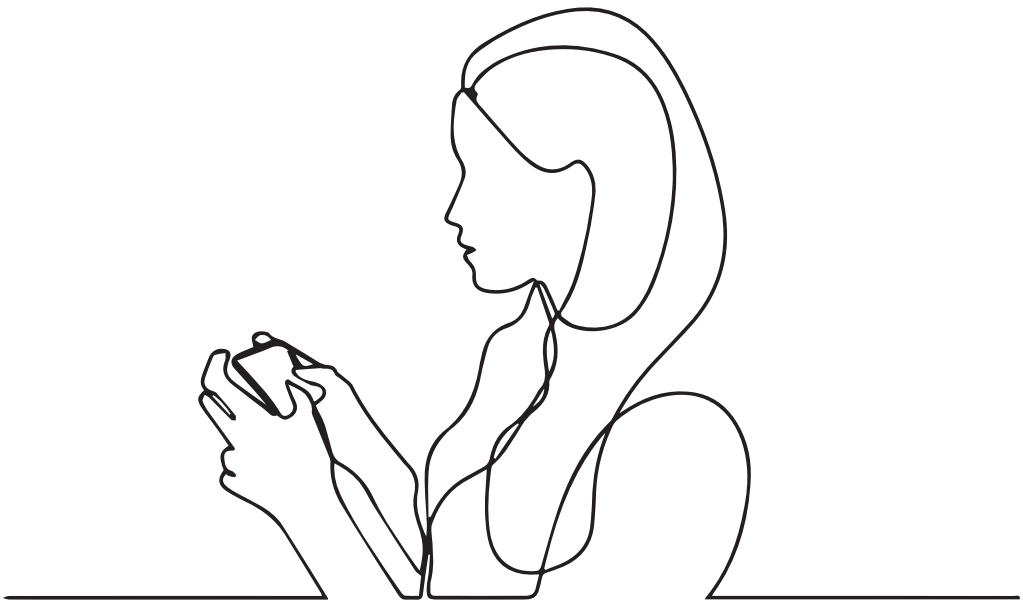

رغدُ العذاب

لورنس السكر

منذ ولادتي قد أيقنتُ أنَّ الزّمنَ قد اتّخذني كائنًا مكبوتًا تحت ساعة رمليّة، تقوم بدفني ببطءٍ شديد، تمنعني حتى أن أنظرَ إلى أبسط الأشياء فوقي؛ لكيلا يختلط الرذاذ الخشن في عيني وأتألّم، وفي ذلك أعلمُ أنّي شديد الرثاثة، لا منّي بل لأنّني قد خُلِقتُ بهذه العلّة.

دائمًا ما تصيبني وساوس النظافة؛ لأنّها تنقصني بالفعل، إذ إنَّ الضمير وما يترتّب عليه من أخلاق، قضية دائمًا ما شغلت تفكيري. نعم أحببتُ نفسي، ولكنّني كنتُ شديد التواضع في ذلك، إذ كنتُ أستنقص من نفسي لكيلا يشعر من أمامي أنّه دوني، ويرتدي بذلك بزّته الدفاعيّة القائمة على التحطيم السلس، منغمسًا بالإثباتات الهرائيّة؛ ليُثبِتَ أنّي لا أدركه بالعلو الذي هو به، كاذبًا ونفسه على الحقيقة لا عليّ.

دائمًا ما رميتُ الأحاسيس بعيدًا، ولا أظنُّ أنَّ في ما أداريه من حالاتٍ نفسيّةٍ تسمح بذلك بتاتًا، وبما أنّي في خلوتي هنا وحدي، أحاول رسم الحروف كيفما أفكّر وأشعر، سأعترف... أعترفُ بأنّي لا أدري إذ أحببتُ أحدًا يومًا بصدق، ولا أعني بذلك أنّي كنتُ متورّطًا بالألاعيب، لا، بل لا أدري بتاتًا كيف يتجلّى الحبّ في عقلي، أو كيف يُدرك بحسب آراء الشهود الذين يعرفونني، فقد أدلوا بامتلاكي الشديد للأحاسيس، بينما كنتُ أنا الوحيد بينهم الذي لم يرَ ذلك.

كثيرًا ما أظنُّ أنّي قريبٌ جدًّا من أن أصبح شرّيرًا بشكلٍ صارمٍ وعظيم، فأنا -وبرغم قلّة الأموال لديَّ -أشعرُ بنشوةٍ إن تضرّعت إلى أحد الشحّاذين في طريقي، وذلك لا يكون بداعي الخير من داخلي، بل يكون كجرعةٍ تغرز بداخلي قطراتٍ من النشوة، وبذلك أستطيع الحكم أنَّ فعلتي من أجل إرضاء نفسي.

أذكر أنّني حاولتُ العيش وربط نفسي بما يسمّيه الجميع بالمشاعر، ولم يعجبني شيءٌ أستلذّ به من ذلك، سوى أن أستمتع بالألم، فلقد رميتُ بنظري على كلّ شيءٍ صعبِ المنال، وانغمستُ في كلّ شيءٍ من تساؤلات عديدة: هل أستطيع التمييز بين الحبّ والإعجاب؟ وإذ كان هناك حبّ، فماذا أريد منه؟ وما الذي سيقدّمه لي؟ بل أيضًا تساءلتُ: ما هو الدافع الذي يجعل المرء يقدّم ما يستطيع للطرف الآخر؟ والعديد من الأسئلة كانت تتخلّص بـ»ما الهدف من كلّ شيء؟».

وفي إحدى الطرق الطويلة تملّكتني القشعريرة داخل مركبتي، شعرتُ بوحدةٍ عظيمة، تجاوبني الأفكار والحوارات ذهابًا وإيابًا، خاصةً أنَّ الليلَ كان غريبًا جدًّا، تهبّ عاصفةٌ للحظات، ومن ثمّ تهدأ، ضبابيّةٌ هائلةٌ حجبت الزجاج عن الرؤية، ولفافات من التبغ المتتالية صنعت سحبًا كثيبةً من رائحتها.

تعسّرتُ على أن أكمل طريقي، فتوقّفتُ جانبًا لدقائق مرتّبًا صداع رأسي، تملّكت السعادة منّي بشكلٍ غريب، كان لي كمانٌ يُرافقني حيثما ذهبت، أضعه في المقاعد الخلفيّة ورائي، مددتُ نفسي نحوه وانتشلته من عرينه. كانت أمسيةً شاذّةً لم يسبق لي أن اشتممتُ مثيلًا لها، وضعتُ كماني على كتفي وشددتُ القوس واضعًا إياه على أوتاري، استعار الهدوء من حولي، وكانت الريح تلامس وجهي، لا أدري شفقةً كانت أم مواساةً، فوجدتُ نفسي في كلّ زاويةٍ أسير بكماني نحو موسيقى «Hans Zimmer - Time»، وجدت الأمطارُ حينها ثقبًا في سدود دمعي، فأخذت تغسل وجهي قطرةً تلو قطرة.

ما علمتُهُ حينها أنّي - بلا شكٍّ - شديدُ المرض، وفي حاجة ملحّة للمساعدة، اتّكأتُ عندها على الطريق، واضعًا يديَّ خلف رأسي، واسترسلت الأمطارُ غسلي من الضيق والألم. الغريبُ في الأمر أنّي كنتُ أعيش شيئًا من المتعة بذلك، بذرّ ما كنت أجاريه من هذا الهذيان، فشل ذريع مع نفسي، كأنَّ ما يجاوبني من معاناة خطيئةٌ لا تُغتفر، أشبه بذلك أحدَ العبيد في إحدى العصور المظلمة في أجلى مراحل العذاب، أرجو من سيدي بين طيّات العذاب الرحمة، بل ربما أرجو قسطًا من القنوت الطفيف لدقائق، ولكن كان لهذا السيّد أن يُخرس ما أرجوه بضرباتٍ تُطربه على صراخي.

في ذلك الوقت أدركتُ بوضوحٍ أنّي بلا شكٍّ شديد المرض، وأنّي في حاجةٍ ماسّةٍ إلى المساعدة، انتفضتُ على جانب الطريق، ووضعتُ يديَّ خلف رأسي، واسترسلت السماء أن تسقط قطرات المطر التي كانت تغسلني من الضيق والهموم.

وبالرغم من مرارة ما أعانيه، فإنّني شعرتُ بنوعٍ من الراحة والاطمئنان، كنتُ أُشبه العبدَ في العصور الظلماء، يتألّم في مراحل شرسة وفظيعة، يتضرّع للرحمة والإنقاذ، ولكن لم يكن من المحتمل أن يجد إلّا الصمت المرافق لألمه وندمه. أناجي: أرجوكم يا سادتي، بينما أغوص في عمق هذا العذاب، هل يمكن أن تمدّوني بقسمٍ صغيرٍ من الرحمة حتى لو كان لدقائق معدودة؟ لكن للأسف، كان ردّ السادة فقط ضرباتٍ تزيد من وطأة ألمي ويأسي.

الآن لا يهمّ، لقد توقّفت والسماء عن البكاء، تلا بعد ذلك فراغٌ عميقٌ داخلي، فقط أرى ذرّاتِ الغبار في قلبي كما حصل مع السّحب التي انجلت بعدما أولت ما بداخلها، وضّبتُ نفسي واستجمعتُ ما أملك من كبرياء، كأنَّ شيئًا ممّا تدفّقتُ به من رثاثة لم أكن بها، لم يحصل شيءٌ بتاتًا، عاد الفراغ أو لأقول لقد عاد الموت شيئًا ما.

نقوش

سامح أدوار سعد الله

تعبت عيوني من متابعة النقش البارز في اللوحة المُعلّقة عاليًا، فترة طويلة وأنا شارد الذهن، كلّ حواسي تتأمّل هذا الرسم الغائر وسط الجدران العتيقة، كيف استطاع هذا المبدع قديمًا أن يُخرج هذه اللوحة البديعة؟ وما نوع الموسيقى؟ كيف كانت أصواتها وطنين أغانيهم؟

في هذه اللوحة الكبيرة لم يخرجني من غفوتي إلّا صوت فحيح الأفاعي، شعرتُ به من الخلف قادمًا، خفتُ جدًّا أن أنظر للوراء، ربما تكون نهايتي، حاولتُ تمالك أعصابي وربط الجأش، كان أمامي خياران: إمّا أن أنظر للخلف وأستطلع الأمر، أو الهروب عن طريق ممرّ ضيّق لا أعرف إلى أين ينتهي؟

وقبل أن أتخذ قراري المصيريّ، كانت الصدمةُ أشدَّ من سماعي صوت فحيح الأفاعي، شعرتُ بأحدهم ينقر على كتفي، فاختلط الأمرُ عليَّ، هل قفزت الحيّات على كتفي؟ أم هناك من يريد جذب انتباهي؟

بالرغم من أنّي لم أحدّد بعدُ هُويّةَ الإشارة، وما إن نظرت للخلف حتى وقع بصري على فاتنة مثل وجه البدر، على وجهها ابتسامة تُذهب العقل، جفَّ حلقي، وتيبّست كلماتي، وكلّ ما يدور في بالي هو هذا الجمال الساحر، حينها تذكّرتُ فقط أنَّها واحدة من عازفات الموسيقى اللواتي في اللوحة التي أمامي، ذهبتُ بنظري سريعًا صوب اللوحة؛ للتأكّد من أنَّ استنتاجاتي صحيحة.

بلغةٍ غير مفهومةٍ أشعر بالحنين لها، كلّمتني، ومن يدي أخذتني، في هذه الأثناء تبعتنا أخرى ممّن كانوا في اللوحة، مضت بي نحو المجهول خلف حائط مسدود، كيف عبرتُ من خلاله؟ لا أدري!

تنتابني حالةٌ من النشوة، تطفو عليها أحيانًا حالةٌ من الخوف أو اليأس، اختلطت المشاعر عندي، هذا الجمال الفاتن كفيلٌ بأن ينسيك كلّ شيء. لحظات حتى جاءني رجل ضخم بزيٍّ غريبٍ يسحب حصانًا أبيضَ له جناحان يرفرفان، قالت لي بلغة الإشارة: «تعال». امتطيتُ الحصانَ برشاقةٍ، فأخذتني خلسةً خلفها، والأميرة الأخرى خلفي، وسبح الحصان المُجنّح بين حجرات المكان حتى بلغنا اللوحة ذاتها.

تجوّلنا داخل اللوحة، فلم تكن لوحة صغيرة بنفس المقاييس التي كنتُ أراها من قبل، بل كانت واحةً كبيرةً جدًا، رأيتُ أمراء وأميرات يجلسون في مجلس العظماء، وعن بُعدٍ رأيتُ عرشًا فخمًا ضخمًا، يجلس في الداخل شابّ جسور يحمل في ثنايا وجهه قوةً وجمودًا، وإلى الجوار أميرة فاقت في جمالها جمال صاحبة الحصان المُجنّح.

أنزلتني الساحرة الفاتنة من على ظهر الحصان، وأخذتني الفاتنة السمراء، ثم أجلسوني بين الأمراء والحضور، قدّموا لي وجبة الضيوف، استمعتُ إلى عزف الموسيقى، ثم أنشدت الجميلاتُ أغنياتٍ، وعندما سألتهن: «من يكون هؤلاء؟»، صمت الجميع دون كلام. كانت رائحة الشواء تُغني عن كلّ سؤال، تمايلتُ هنا وهناك مثل الثمل الولهان، ذهبتُ نحو الملك الجالس على العرش، وقلتُ له: «هيّا انزل كي أجلس مكانك». تعجّب الملك من سلوكي ولم يؤذِني، اقتربت الأميرات وأقمن الملك، وأجلسوني بدلًا منه.

نودي في البوق: «هذا هو الملك الجديد»، تعجّبتُ، كيف تمّ كلّ هذا سريعًا؟! تقدّمت الجميلات، وقلنَ لي: «اختر من بين هؤلاء ملكةً لك وثلاثَ وصيفات». كيف يحدث كلّ هذا بسهولة شديدة؟! فمن المعروف أنَّ الملوك لا يتنازلون عن عروشهم أبدًا إلّا مقتولين أو مجبورين أو مهزومين، كيف سلّم الملك عرشه بهذه الطريقة؟! يبدو أنَّ في الأمر أمرًا، نحن نبني ونشيّد، والملوك تُنسَبُ لهم الأمجاد، نحن نزرع ونحصد، والملوك والأمراء يأكلون ويشربون.

كيف أختار؟ كلّهن جميلات، لهن نفس الملامح والقسمات، نعم، اخترتُ الملكة والوصيفات، تمرّ الساعات وأشعر بالإرهاق، آه، هل أنا متعب إلى هذا الحد؟ أكل وشراب، لا بدّ من قسطٍ من النوم في مكاني، سبحتُ في النوم لساعات، وعندما استيقظتُ وجدتُ الأمور قد اختلفت تمامًا، لم أعد الملك المتوّج، ولا الحِسان من حولي، وجدتُني في صحراء قاحلة، هنا ظننتُ أنّي كنتُ في حلمٍ جميلٍ واستيقظتُ منه للتو، رغم ذلك لم يكن هذا المكان مدينتي ولا بيتي، كيف جئتُ إلى هنا؟!

شعرتُ بالخوف والوحدة، وتذكّرتُ حينها أنّني كنت مفتونًا بلوحة جميلة، فجاءتني أميرتان، ودخلتا بي إلى الصورة، وحدث ما حدث، كيف جئتُ إلى هنا؟ صحراء شاسعة، ولا أجد حدودًا ولا بداية ولا نهاية، كيف الخروج من هنا؟ أخذتُ أصرخ بصوتٍ عالٍ، أطلب النجدة ولا أحد يجيب، والعطش يتسلّل خطوةً خطوةً مع مرور الوقت وسخونة الشمس، الخوف يتأرجح داخل قلبي، أين الخلاص؟

ظهر فارسٌ على جواده قادمًا من بعيد، أشرتُ له، وانتظرتُ كثيرًا، الصورة لم تتغيّر، والفارس لم يتقدّم، كلّما جريتُ في اتجاهه كان يبتعد ويحتفظ بنفس المسافة، حاولتُ تحديد طريق السير يمينًا أو يسارًا، شمالاً أو جنوبًا، اخترتُ عكس اتجاه الفارس، وشرعتُ أركض سريعًا، عندما نظرتُ للخلف، وجدتُ الفارس يتبعني بنفس المسافة، ألقيتُ بنفسي على الرمال الساخنة وحرارة القيظ.

أعود أنظر للفارس، لعلّه قد تقدّم، لكنّه كما هو، نفس الهيئة والمسافة، عندما قررتُ مواصلة الرحيل، جاء نسرٌ محلّقًا، هبط فوقي، ظننتُهُ جاء ليفترسني، طار بي بعيدًا خلف السحاب العالي، شربتُ من مطر السحاب في السماء، كانت مياهًا مالحةً، نظرتُ للأسفل، وجدتُ الفارس بنفس الهيئة والمسافة، ألقاني النسر من أعلى، فسقطتُ فوق الجواد خلف الفارس، عندما دقّقتُ النظر فيه وجدته أنا.

ذاكرةٌ في مَصحّةِ الزّمن

محمد كنعان

على شرفةِ المعنى ولدتُ بوحدتي صبيًّا ضليعَ الشعرِ يذكرُني غدي
وعكّازيَ المكسورُ يعذرُ خطوتي ويحمِلُ جُرحَ العاشقين لمقعدي
أنا ابنُ وصايا الأبجديّة والفراغُ يكسِرُ في ضوءِ القصيدةِ أبجدي
أهُـزُّ ضميرَ الطّينِ، أربَحُ غصنَهُ وأُلبِسُ وجهَ الآدميِّ تَفَرهُدي
على جسدِ الحربِ البطيئةِ لي صلاةٌ أمّ تُعيدُ الموتَ بعدَ تشهُّدي
ولي في بلادِ المُترفينَ حبيبةٌ صُلِبْتُ بكفّيها وتُهْتُ بمشهدي
ولم أتركِ الجُرحَ المُعَتَّقَ نُدبةً وسافرتُ في صوتِ الأنينِ بمفردي
وقُلتُ لمكرٍ في النّساءِ: أنا هُنا، وإنّ كانَ فرضُ الشّوقِ يُنكِرُ معبدي
سأعزِفُ في نايٍ يُراوِغُ ثقبَهُ وأكسِرُهُ حزنًا لتخنقَني يدي
وتعزفُ موسيقى الشّقاءِ ضحيّةً وأصبحُ فيها جُثّةَ المُتجسّدِ
يقولونَ: هذا الطِفلُ آخرُ غيمةٍ ستقرؤها الصّحراءُ لحظةَ مولدي
وتنثرُهُ قمحًا على مدنِ اللّجوءِ حتى تنامَ الأرضُ نومةَ مبعدِ
يقولونَ: إنّي قد وُصِفْتُ كشاعرٍ، ولي في فمِ التاريخِ نبرةُ هُدهُدِ
يقولونَ: إنّي العبد أُجلَدُ عَنوةً، ولم يُدرِكوا أنّي فُتِنْتُ بسيّدي
وصِرتُ بلالَ المجدِ طيّبَ قومِهِ، وآمنتُ أنّ اللهَ حصّنَ مسجدي

نشيجُ المُعمِّرات

مهند الرفوع

يا للوجع! يا للهيب الخاصرة حين تنهشها النيران والمعاول! ويا عذابات السقوط حين يكون وشيكًا وبطيئًا! أحتضرُ وحدي على مشارف الربيع من بعد أن أعطبتني وحشةُ الفؤوس ونهمُ النفوس. غابَ الناس جميعاً وما عادت شيخوختي تستندُ إلّا على جُرحها النازف وجذعها المبتور، أين الرّعاةُ الذين فرّوا إليَّ بالأمس لأمسحَ عن وجوههم سِناجَ الشمس ودَبَقَ الصيف؟ أين أهلُ البيئة وعناوينهم العريضة؟ وأين عُشّاقُ بهائي وأحبابُ أغصاني؟

ما أقسى أن تكون حطّابًا شحيح الفؤاد! تحرق العروق وتسفك اللِّحاء، ويلاه من حمحمةِ أنفاسهم وهم يُبتِّكون القشور والأحشاء في زوايا النهار وقيعان الليل! لِمَ ذلك كلّه وحولي قناطيرُ من الحطب؟ هل أفسدَ ظلّي حياتكم أم ساءكم حسني؟ أأزعجكم شموخي أم جارَ عليكم عبيري؟ أكومةٌ من حطبٍ أحبّ إليكم من شجرة عتيقة تُهدهد الوجدان وتأوي إليها وشوشات العصافير وأجنحة العُقبان؟

لكنَّ النار التي من أجلها مزّقتم سكينتي سُرعان ما تخبو، وحينها ستدركون كم هي قاسيةٌ قلوبكم وضيّقةٌ أهدافكم، وأنا وإن جَزّ جفاؤكم حياتي، فلستُ أغادركم إلّا من بعد أن طيّبتُ أرضكم وجمّلتُ عيونكم، وليس لي من بعد هذا النكران إلّا أن أوصيكم خيرًا بمَنْ تبقّى من أهلي وأحفادي، ولستُ أدري إن كانت وصيّتي ستلقى منكم استجابةً أم لا؟

أودِّعكم وفي جذوري الثكلى عتابٌ بحجم رفرفات الطيور التي احتضنتُها، وبحجم تغاريدها التي داعبت أفناني وآنست أيامي، أودّعكم تاركةً خلفي كومةً من حجارة، وإنّ منها لما يتفطّر على حالي، وإنّ منها لما يتصدّعُ من الوداع والأنين.

وعاء

خلود الإبراهيم

المرأةُ التي أوغلَتْ في العمر، تستيقظُ كلَّ صباحٍ مُبكِّرةً، يتناهى إلى مسمعها صوت بكاء، مسرعةً تنهض من سريرها، تتجه نحو غرفة الطفل، تضع أذنها على الباب، لا صوت، تفتح الباب على مهل، تحرص على عدم إحداث أيّ ضجيج، تتأكّد أنّه يغطُّ في نوم عميق، وأنَّ غطاءه فوقه، ولم يسقط على الأرض.

تتلفّت حولها، تطوف بعينيها في الغرفة التي بالغت في الاعتناء بها، ثمّة دميةٌ على الأرض، رفعتها إلى الرّفّ، وضعتها بجانب باقي الدُّمى المُصطفّة بجوار بعضها، جلسَتْ على الكرسي الهزّاز بجوار سريره بعد أن التقطَتِ الدّميةَ القماشيّةَ المستلقيةَ عليه، التي خاطَتْها في الخريف الماضي.

وضعَتْها في حضنها، ضمَّتْها بقوة، أخذ الكرسي يتأرجح للأمام وللخلف، ألقَتْ بنظرها من خلال النافذة المُغلقة التي تتسلّل من وراء ستائرها الشفيفة أشعةُ الشمس الدافئة، كانَتْ ذرّات الغبار تتراقص بجنونٍ في ممرّ أشعتها، وعصافير شقيّة تلحق بعضها بعضًا داخل شجرة الصفصاف، تكنسُ الصمتَ بتغريدها الشجيّ.

لحظات منسيّة أطلَّتْ برأسها من أعماقها، توالَتِ الحكايات العتيقة في ذاكرتها، توقّفَتْ عند الزمن الذي تلا زواجها بسنتين، ذلك الوقت الذي لم تكفَّ النساءُ عن سؤالها: «هل خبّأتِ لنا طفلًا؟»، «هل امتلأ وعاؤك؟»، متى سنفرح بقدوم طفلك؟».

زمن قضَتْهُ تتردّد على الأطباء والعيادات النسائيّة، حتى إنّها زارَتِ الشيوخَ، وقصدَتِ الأسواقَ الشعبيّة، ابتاعَتْ ضروبًا من الاعشاب التي لم تكن قد سمعَتْ عنها، ولم تنسَ البخور بأنواعه، جرَّبَتِ الطّبَّ العربيَّ، لكنّها لم تكن تجد نتيجةً.

فَشِلَتْ، أُحبِطَتْ، استسلمَتْ، ثم ما لبثَتْ أن بزغ الأمل من بين شقوق اليأس من جديد، ثم أكملَتْ من حيث توقّفَتْ، تمادَتْ في رسم الأحلام التي كانت تعيشها في يقظتها برفقة روح طفلٍ لم تستطع رؤية ملامحه، لكن كانَتْ دائمًا ثمّة يد خفيّة تسحبها من أحلامها؛ لتُلقيَ بها على أرض الانتظار المُرّ، أصبح همُّ الرفيقات اللواتي يزرْنَها كلّ صباح ليحتسينَ قهوة الصباح معها، ويتبادلن الثرثرة وأخبار أهل الحيّ، أحلامها التي لم تتحقّق، حاولْنَ كلَّ ضروب الأدعية المستجابة والصلوات لأجلها.

ما كان يزيد اشتعال الحزن فيها، وجود بيتها بجوار حضانةٍ للأطفال، أطفال يأتون في الصباح برفقة أهلهم ليعودوا في المساء لأخذهم، عناق وتقبيل قبل الوداع، وأحضان الأهالي تغرق فيها الأطفال بحنوّ دافئ، تتهادى إلى مسمعها أصواتهم وأحاديثهم الشقيّة، لم تكن تكتفي بالنظر إليهم من نافذة منزلها، كانت تنزل في كلّ صباح إلى الشارع بعد أن تتأكّد أنَّ كلَّ الأطفال قد حضروا، كانت تعرفهم طفلاً طفلاً، وتلحظ غياب أيّ أحدٍ منهم، تقف أمام سور الحضانة تراقبهم خلسةً من خلف أغصان الأشجار التي زُرِعَتْ على الرصيف، ساعات تمضي دون أن تشعر، حتى يدركها التعب، تعود إلى البيت وقد اقتادَتْ معها صورهم وأصواتهم وحركاتهم، تعيش عليهم أيامًا ولياليَ.

قاطع سهوَها رنينُ هاتفها الذي تركته في غرفتها حتى لا يُوقظ الطفل، نهضَتْ بهدوءٍ، وبرفقٍ وضعَتِ الدّمية القماشيّة بجواره، خرجَتْ كما دخلَتْ، بهدوءٍ مبالغٍ فيه أغلقَتِ البابَ كيلا تتسلّل روح الطفلِ المُنتظَرِ النائمِ من الغرفة.

حروفية الفنان جاسم محمد/ الأردن

أكتبُ بما يشبهُ قلبي

سماح موسى

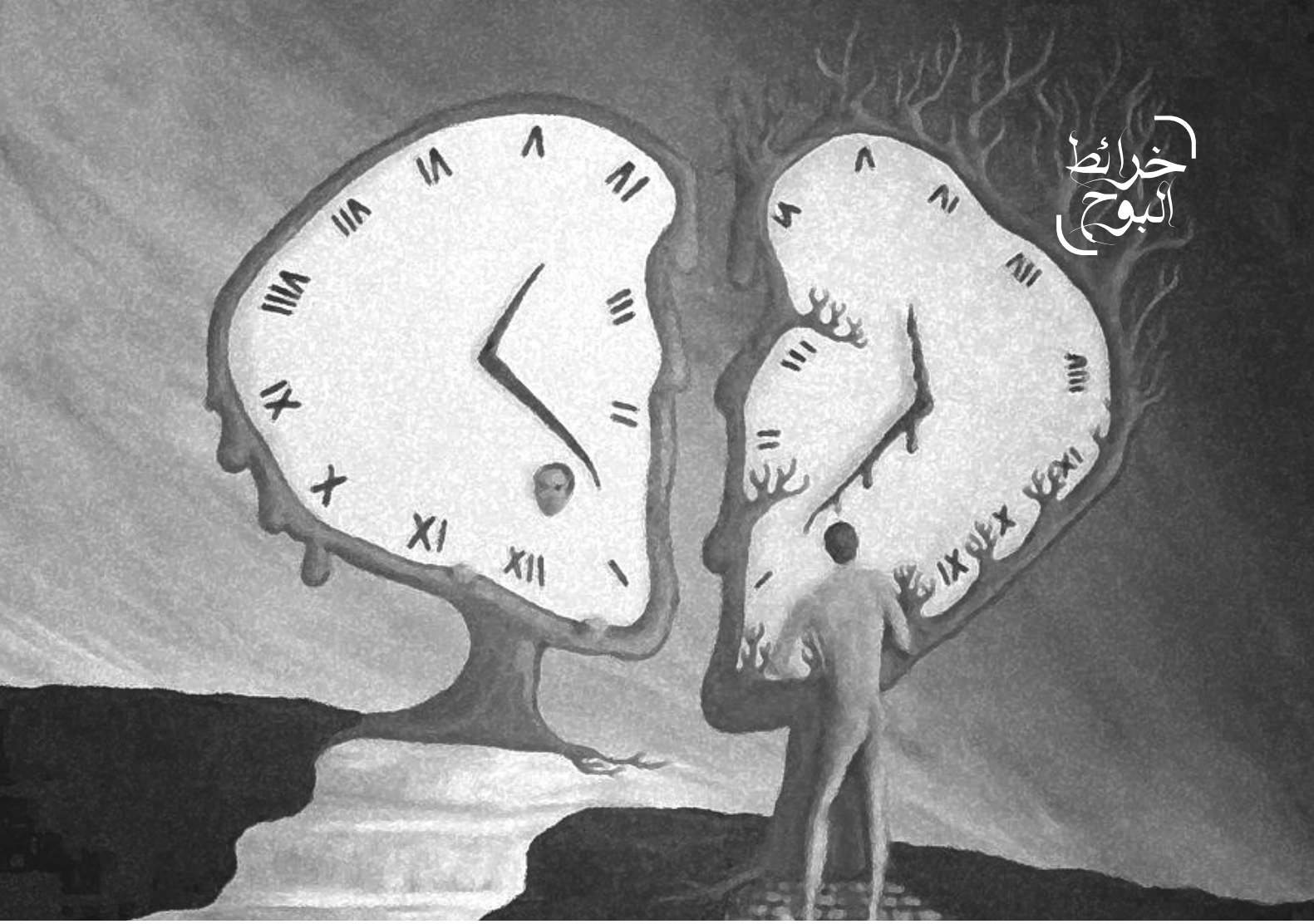

أكتبُ بما يشبهُ قلبي

سماح موسى

أتساءلُ إن كانت هذه زاويةَ بوحٍ عن الكتابة، أم عن أنفسنا، أم عن الحياة؟ أو ربّما هي بوحٌ حقًّا تجاه أشياء لا يُباح لها أن تبوح سوى بالقلم.

لماذا أكتب؟

أبدأُ بهذا التساؤل، في الحقيقة آخر مرّةٍ أجبتُ فيها عنه، قلتُ: أكتبُ لأنَّ هناك قطرةً بي متمسّكةً بالحياة، تحاولُ العثورَ على مُنفذٍ للأمل. ثمّ تحضرني الذّكريات، تجيبُ على تساؤلاتي وهي ترتشفُ قهوتها المُرّة وحلمها البريء، وقفتُ مرّةً تحت المطر، واستنشقتُ عبق الشتاء، وهمتُ أكتب؛ ليحدث أن أكتبُ؛ لأصفَ ما وراء الجمال، ثمّ صدر أنينٌ حادٌّ من قلبي، فكتبتُ لأجعلَ للحياة قيمة، وإذ بي أتمشّى بين مرجٍ من الزّهور الصّفراء، فهام قلبي قائلًا: أكتبُ لأزرعَ الرّبيع بين كفّي الحياة.

أعودُ فأرتطم بالحياة، فلا أعرف حينها لِمَ كتبتُ، لكن لم يكن أمامي خيارٌ سوى أن أكتب. تؤلمني فكرة أن أرى الأشياء بتفاصيلَ ناقصةٍ، فأكتب، أكتب حينما أعبّر عن آلام الآخرين وأوجاعهم، وقصصهم المنسيّة.

في بعض الأحيان أثناء جلوسي على مكتبي، بين كتبي وقهوتي، تتراقص الورقة أمامي، ألمحُ شرخًا فيها يحاكيني لأُرمّمه، ويُحدّق القلم بي مليًّا، فأقول: قد لا نكتبُ فقط لأنَّ الكتابة تُنقذنا، قد نُنقذُ نحن الكتابة، نلمحُ الجرح في القلم، فنداويه بورقة، وقد تشتاقُ الورقةُ لخدشٍ ما فينا، فنُرمّمه معًا، ونداريها بحبرٍ جافٍّ، قد تحتاجُ الكتابة إلينا بقَدْرِ حاجتنا إليها.

ثمّ يأتي محمود درويش فيقول: «لا شيءَ يُعجبني، نعم، حتى عندما لا شيء يعجبني أكتبُ». وإذ بجلال برجس يكتبُ في نشيج الدودوك: «كلّ كلمةٍ أكتبُها هي شوكة أنتزعها من دواخلي؛ لتصيرَ وردةً في حقول الآخرين».

لقد ترك كلامه محاكاة صادقة، ذات طابع وأثر، لهذا أيضًا أكتبُ؛ لأنّني أؤمن بصدى الصّدق في الكلمة، فالصّدقُ حينما يحضرُ في الكتابة يُبرز الإبداع، فالكتابة بالنسبة لي أيضًا هي انتزاعُ شيءٍ من الداخل، لن يستهوي القارئ كلامًا لم يلامسه، يتطلّبُ الأمر اتّصالًا روحانيًا من نوعه الخاصّ، والأجمل حينما يشعر الكاتب بالرضا؛ لأنّه كما انتزع داوى، تضحية لن تُفهم إن لم تُكتب. الكلمات تُروى من تلقاء نفسها، يبدو الأمر هروبًا ومواجهةً في آنٍ واحدٍ، أن أهربَ من الحياةِ نحوَ الكتابة، وأواجه هذا الهروب نحو عالم أكثر اتّزانًا وعمقًا، وأمانًا في التقبّل.

لكن حينما جعلتُ أكتبُ لأول مرّة في طفولتي، كان قلبي يرتجف، وبدا القلمُ في يدي ريشةَ طائرٍ هاجرَ عشَّه تاركًا خلفه ريشةً وتغريدةً. جاءت الكتابة حلمًا ونفسًا وغنيمة، فتدفّقت الأحلامُ بين أضلعي، ولم تتوقّف، همتُ بحروف العربيّة فدرستُها ودرّستُها، آمنتُ بمقدرة القراءة على صناعة الحلم والاختيار، فكتبتُ للأطفال رغبةً صادقةً منّي؛ لصقل حبّ القراءة في أرواحهم، ثمّة علاقة وثيقة بين القراءة والكتابة، كلتاهما محاولة جادّة لفهم الحياة.

محطّة الطفولة كانت المحطّة الأهمّ لصقل قلمي وحلمي، تحتاجُ أن تحبّ شيئًا بشدّة حتى تكمل به، آمنتُ بالكتابة للدرجة الّتي أغمضتُ فيها عينيَّ مع كلّ قصّة بريئة صغتها، وخاطرة عفويّة انزلقت من روحي، ورحتُ أحلمُ بقلم وجد صداه في قلب كلّ قارئ، تراقص حلمي وشغفي بعفويّة مطلقة، وأنا أقابل كلّ كاتب طرقَ بكلماته على عمقٍ أحتاجه. الطّفولة هي الطريق الّذي أهديه كلّ نجاح، هي التحدّي والإيمان المطلق، لا أنسى معلمتي في الابتدائيّة حينما قرأت لها قصةً كتبتُها فسخرت منّي بطريقة جارحة؛ لأنّني كتبتُ قصة!

حينها تمشّى بي الزمن، وقفتُ في مرّتي الأولى بثقة في رابطة الكُتّاب الأردنيّين، أمام الناقد والأديب الّذي تغمّده الله برحمته قبل فترة قليلة، الدكتور فوزي الخطبا، وقتها نظر إليَّ بإيمان كبير، ودعمني بالطريقة التي أشعرني فيها أنّني أستحقّ.

وحينما أصدرتُ كتابي الأول في قصص الأطفال، رأيتُ فرحةً حقيقيّةً ترتسمُ على ثغر الأطفال، وجدتُني أقف قبالتهم أروي لهم قصة (قاسم والقزم)، كيف حقّق حلمه رغم الصّعوبات، نظروا إليَّ ببراءةٍ يشعُّ منها الحبّ، وأنا أقول لهم: «اختاروا دومًا الأحلام التي تشبهكم»، تركتُ آثارًا مليئةً بالمحبّة ومضيتُ.

بعد سخرية المعلّمة ممّا كتبته في الطفولة، أستذكرُ معلمة أخرى حضرت بعد سنة، قرأتُ وقتها لها، لم أستسلم، إيماني كان كبيرًا، فأظهرَتْ لي الإعجاب المنبهر، وأكّدَتْ على وجود موهبة، صفّقَتْ لي بصدق، ومدحَتْ بإخلاص.

في الجامعة غرس أساتذتي في قسم اللغة العربيّة بي دعمًا لا يُنسى، وصقلًا مهمًّا لتوجّهي ونضجي في الكتابة، فلا أنسى قول الأستاذ الدكتور نضال الشمالي: «مسرور جدًّا ممّا قرأتُه لكِ، ما قرأتُه مقنع جدًّا، يحملُ بذورًا إبداعيّةً ستزهر يومًا». والأستاذ الدكتور الشاعر راشد عيسى، كثيرًا ما قال لي: «أنتِ موهوبة حقيقيّة».

في مجال التعليم حضرني مَنْ حاول أن يُحبطني، فجاء مَنْ يرفع ويدعم، ويترك فارقًا وإضافةً، هذا ما أعطاني إيمانًا كبيرًا بأهميّة الأثر، فدرّستُ بشغف وإخلاص، وكتبتُ بما يشبه قلبي.

وفي أمسيةٍ أدبيّةٍ أو احتفالٍ تكريميّ، لمحتُ بين الحضور في الجمهور عائلتي تنظرُ إليَّ بفخرٍ ومحبّةٍ، بالتأكيد مثلما تمتلئ الحياة بمَنْ يحاولُ أن يبعدنا عن أحلامنا، ويسعى بجهدٍ لإحباطنا وإيلامنا، الأمر يستحق لأجل هذا الإيمان المُطلق بأنفسنا، ونظرة الفخر من العائلة، نعم لهذا أكتب؛ لأجل كلّ شيءٍ يستحقّ أن نكتبَ لأجله.

بالتأكيد إنّني أكتبُ؛ ليخدم قلمي المرأة، ويُعبّر عمّا يختزلُ فيها من مشاعرَ وآهاتٍ خفيّةٍ، وقصصٍ لم تُحكَ بعد، لكن هل يمكن للمرأة أن تُحلّقَ في سماء الكتابة بحرّيّةٍ وسطَ المجتمع؟ هل سيكون سهلًا؟

لا شيء سهل في الحياة، كلّ شيء يستحقّ التّجربة والمجازفة، والعمل والاجتهاد، كلّ بيئة يختلف فيها النظر إلى المرأة من عدّة زوايا، لكن مهما كان، لا يخلو الأمر من صعوبات، وبدوري مددتُ يدي للداعمين بحبّ وتقدير، صفّقتُ مع النسيم، حينما جاء مع فكرةٍ اقتنعتُ أنّها الأصوب، فهي ليست خطأ من الأساس؛ لتثيرَ الجدل أو تخلقَ التحدّي، إنَّ الكاتب الجيّد قادرٌ على إقناع القارئ، والمرأة الّتي تواجه تحدّيًا يحدّها عن إكمال حلمها، دورها أن تقنع في الحياة كما في الورقة، ويكفيها المرأة أنَّ مَنْ خلقها قدّرها وكتب لها أن تصنع الفرق، وهذا يعطي قوةً وحافزًا وحُجّةَ إقناعٍ لا تهتزّ.

تحتاجُ أن تتذوّق علقم الحزن لتكتب، وترتشف من الحياة قسوةً تبقيك عاجزًا عن كلّ شيء سوى الكتابة، والفرحُ حربٌ أخرى مع الحياة، عليكَ أن تعتصرها لتحصلَ عليه، وتجعل من السّلام والرضا مطلبًا، تقاسم فيهما قلمًا تضيئه دمعة أمل.

بدون ذاكرةٍ نحن لا نكتبُ، فهي منبعُ آهاتنا الخفيّة، نحنُ لا نتعافى من ذكرياتنا، لهذا لن نتوقّف عن الكتابة. تحدّيات الكتابة كثيرة، وهذا ما يعطيها قيمةً أكبرَ، وحافزًا لمواجهة كلّ شيء، في سبيل أن يبيتَ للكلمة صدىً أكثرُ إشراقًا وحبًّا.

لكن متى يكون الأدبُ أدبًا؟

سبق أن أجابتني دمعةُ قارئ، واستشفاءُ حزين.

الأوطان حكايات تختزلها الكتابة، الهيامُ بالوطن رصيدٌ كافٍ ليجعلَ من الكلمة حيّةً، وهموم العالم مسؤولية تقعُ على عاتق كلّ مثقّف وأديب، حيث له أن يطرح المشكلة، إمّا أن يحلّها بطريقة فنيّة إبداعيّة قابلة للتحليل، أو يترك الحلّ مفتوحًا يغزو القارئ المثقّف، ويشعل بداخله الرغبة في التغيير.

ممتنّةٌ لكلّ داعم أشعل بي فتيلَ الشَّغف، الأقلام قادرة على تغيير شيء في العالم، نعم إنّها محاولات جادّة للعيش، للتغيير، للتشافي، للتحليق، للحرّيّة، للنّضج، للسّفر، للبقاء.

أكتبُ لأبقى حيّةً للأبد، حتى أغرس قيمةً وأثرًا، حتى أعمّق الإنسانيّة، أكتبُ؛ لأبقى أحبّ الحياة.

المختبر

- الأجيالُ العربيّةُ الشّابّةُ المُبدِعةُ .... منير عتيبة
- كيف يتشكّلُ الأدبُ عندَ الشّبابِ بعيدًا عن المدينة؟ .... عهود عبد الكريم
- خرقُ الإشاراتِ الحمراء.. مظاهرُ الكتابةِ الجديدةِ لدى أحدثِ أجيالِ قصيدةِ النَّثر .... شريف الشافعي
- أدبُ الشّبابِ .... لطيفة القاضي
- قراءة في (ديّة قلب) للكاتبة الأردنيّة الدكتورة هند البريزات .... محمد خضير

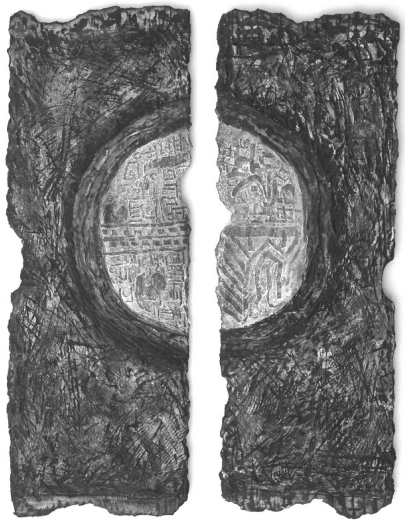

خزفية الفنان فائق العبودي/ العراق

الأجيالُ العربيّةُ الشّابّةُ المُبدِعةُ

منير عتيبة

ربما عَلَيَّ أن أتحدّث عن جيلي من حيث أريد الحديث عن الأجيال الشابّة المبدعة، ليس من قبيل المقارنة السّطحيّة، ولكنْ رصد للظروف الموضوعيّة التي أحاطت بكلّ جيل. كانت القصة القصيرة هي الوسيلة الأمثل للتعبير عن التخبّط والإحباط والإحساس باللاجدوى، فنحَتْ إلى إطار العبث في تناول الواقع الأكثر عبثيّة، مستخدمة الجمل القصيرة القاطعة كطلقات تُطلقها على هذا الواقع، ومَنْ كتب الروايةَ من هذا الجيل، كان يكتبها بحبرِ القصّةِ القصيرةِ وَفْقًا لتعبير الناقد الدكتور هيثم الحاج علي، الذي ينتمي للجيل ذاته، إذ تصبح القصة القصيرة هي الأقرب من الرواية للتعبير عن الطبقة المتوسطة في لحظة أزمتها، بينما الرواية تُعبّر عن هذه الطبقة في لحظة صعودها، باعتبار أنَّ المُنتِج والمستهلك الرئيس للأدب هو الطبقة المتوسطة.

هل يواجه المبدعون الشباب إشكاليّاتٍ مماثلةً؟

ربما يواجهون إشكاليّاتٍ أقسى بالنظر إلى حالة البلاد العربية بعد (الربيع العربيّ)، من أزمات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة شديدة القسوة، وكذلك حال العالم الذي وصل فيه الاستقطابُ إلى أقصى مدى، وسقطت فيه شرعيّة الأمم المتحدة، وظهر بوضوحٍ الوجهُ القبيحُ لازدواجيّة المعايير التي تتعامل بها الأنظمة الغربيّة مع الأمم المختلفة؛ تبعًا لمصالحها الذاتيّة، وليس وفقًا للقيم الأخلاقيّة التي تتغنّى بها ليل نهار، بل تستخدمها أحيانًا سلاحًا لترهيب بعض الدول.

لكنَّ هؤلاء الشباب متاح لهم ما لم يُتَحْ لجيل التسعينيّات في مجالات النشر، والإتاحة، والجوائز، ففي مجال النشر كان معظمه في جيلنا يعتمد على النشر الحكوميّ، وكان عدد دور النشر الخاصة قليلاً، والحاضر منها في المجال الأدبيّ أقلّ، لذلك لا تتعجّب عندما يُخبرك البعض أنَّه قدّم كتابًا للنشر في هيئةٍ ما، ثم صدر بعد ثلاث أو أربع سنوات (شخصيًا صدر لي كتاب بعد سبع سنوات من تقديمه).

أمّا الآنَ فساحة النشر واسعة، ودور النشر الخاصة كثيرة، وإتاحة نشر العمل أكثر يسرًا بوجود شبكة الإنترنت، إذ أصبح المبدع قادرًا على نشر عمله بنفسه، والوصول إلى آلاف أو ملايين القرّاء دون الحاجة إلى الناشر الوسيط، بل أصبح بعض الناشرين يطلبون من بعض الكُتّاب نشر كتبهم ورقيًا لديهم؛ بسبب ما لدى هؤلاء الكُتّاب من متابعين كُثر على الإنترنت، بصرف النظر عن قيمة العمل المنشور.

كذلك الجوائز الآن أكثر عددًا وأكبر قيمةً ماديّةً بكثير ممّا كان متاحًا لجيل التسعينيّات، إضافة إلى إقبال كبير من الأجيال الشابة على قراءة الأدب بما لم نرَهُ في جيلنا، كلّ هذا أدّى إلى ظهور أعداد كبيرة من الكُتّاب الشباب الذين يسعون للتعبير عن أنفسهم وجيلهم.

أمّا السؤال المهمّ حول هذه الكتابة، فهو: هل هي كتابة شابّة جديدة ذات سمات تخصّها أم هم كُتّاب شباب يكتبون لمُجايليهم دون سمات إبداعيّة خاصة بهم؟

ربما تكون إجابتي من واقع خبرة تعاملي مع المبدعات والمبدعين الشباب من خلال مواقع عديدة، مثل مختبر السرديّات بمكتبة الإسكندرية، ومؤتمر مصر المبدعة، وسلسلة كتابات جديدة في الهيئة المصريّة العامة للكتاب، وتواصلي مع الكثير من الكُتّاب الشباب في دول عربيّة مختلفة.

لدينا عددٌ كبيرٌ من الكُتّاب الشباب، وكمٌّ هائلٌ من القصص والروايات المنشورة، قد لا يكون الكثير منهم أصحابَ موهبةٍ حقيقيّة متفجّرة، وقد لا تحقّق الكثير من الأعمال المنشورة المستوى الفنّيّ المطلوب، لكنّها بالتأكيد ضروريّة لبقاء الاهتمام بفنّ السرد، وليفرز الزمن مع مروره ما يصلح للبقاء من الكُتّاب والكتابات.

يصعب إصدار أحكام عامة بخصوص الكتابة، وبالذات لمَنْ لم يقرأ كلّ ما صدر، وهو أمر يستحيل حدوثه، فمَنْ يستطيع أن يتابع كلّ هذا الكمّ من الأعمال المنشورة ورقيًا وإلكترونيًا؟!

لكنَّ الكاتبات والكُتّاب الشباب – المصريّين والعرب – الذين قرأتُ لهم، يحاول معظمهم أن يكتب كتابةً خاصةً تشبهه هو، لذلك نجد الاتجاهَ إلى التجريب واضحًا بشدّةٍ في كتابات هؤلاء المبدعين، سواء التجريب على مستوى الموضوعات التي يتناولونها، أو على مستوى بناء القصة والرواية ولغتها.

نادرًا ما نجد وَهْمَ تغيير العالم في كتابات هذا الجيل بالقدر الذي كان في أعمال أجيال سابقة، فشباب هذا الجيل لا يكتب ليُغيّر العالم، أو يطوّر المجتمع، أو يرتقي بالقارئ... إلخ، تلك المقولات التي كانت تقود الكتابة بشكل أو بآخر في مراحل سابقة، لكنّه جيل يبحث عن ذاته، وبالتالي يحاول أن يستخدم السّرد كأداة لفهم الذات في مواجهة الآخر أو العالم.

وقد شهد هذا الجيل انهيار المقولات والحكايات والأيديولوجيّات والدول الكبرى، لذلك فهو لم يعد يؤمن بها، واستبدل بها الإيمان بالفرد المبدع القادر على أن يحافظ على وجوده في وسط كلّ التهديدات غير المسبوقة التي يمكن أن تطيح به، وهؤلاء الكُتّاب يشعرون بالاغتراب بالمعنيين النفسيّ والاجتماعيّ، ويرون أنَّ التواصل مع الآخر/الفرد والمجتمع أمر صعب وباهظ التكاليف، وفي الوقت ذاته لا مفرّ من هذا التواصل، وإلّا وقعوا في بئر الوحدة وانقطاع الصلة بالعالم، والسّرد هو وسيلتهم الأساسيّة لتحقيق هذا التواصل، والمحافظة على قدر من التوازن النفسيّ للقارئ.

يكتب هؤلاء الشباب عمّا يمسّ ذاتهم مباشرةً من موضوعات، لذلك نرى للخبرة الذاتيّة وجودًا كبيرًا في أعمالهم، وإن كان البعض يمكن أن يرى في هذا تمحورًا حول الذات، فإنّني أراه محاولةً لفهمها واستجلاء جوانبها قبل أن تتواصل مع الآخر.

يُعبّر هذا الجيل عن رفضه من خلال أعمال عديدة تنتقد السلطة بأشكالها المختلفة، السلطة السياسيّة المتعالية بعيدًا عن مشاكل هذا الشباب، أو السلطة الاجتماعيّة التي لا يجد لنفسه مكانًا في تراتبيّتها التي عفا عليها الزمن، أو السلطة الأدبيّة التي ترفض الخروج على أعراف الكتابة المعتادة، أو سلطة الذكور مقابل الإناث، وهي ما يرفضها كُتّاب رجال وليس كاتبات فقط؛ باعتبارها ميراثَ مجتمعٍ لا يريد أن يتغيّر.

كما يلجأ الكثير منهم للتاريخ لمحاولة فهم لماذا أصبحت لحظتنا الحاضرة بهذه القتامة، وبعضهم يسعى لقتل السلطة بكلّ أشكالها، أو تدمير العالم كوسيلة لإعادة خلقه من جديد؛ يأسًا من محاولة إصلاحه. وقد يكون انتشار أدب الرّعب علامةً على ما في نفوس كُتّاب هذا الجيل وقرّائه من خوف عميق تجاه الذات والعالم، يساعدهم هذا اللون من الأدب على مواجهته أو تفريغه.

فإذا كانت القصّة والرواية هي أداة الفهم والتواصل، فهي تتّسم بلغة تتراوح بين الوضوح والمباشرة لدى البعض، لغة أقرب إلى الجدال البحثيّ، وبين نحت التراكيب والجمل التي تحاول التعبير عن تلك الحالة من عدم الفهم والعبثيّة واللا جدوى، في محاولة لخلق تعامل خاص مع اللغة، يصل في بعض الأحيان إلى لعب باللغة قد يراه البعض مبالغًا فيه، أو لعبًا لمجرّد اللعب.

ولا أقول إنَّ هناك ابتكارًا لأدوات سرديّة جديدة غير مسبوقة لاحظتُه في ما قرأت، ولا هناك كتابة شابّة منبتّة الصلة بما قبلها، لكن هناك استخدام متنوّع وبشكل شخصيّ متمايز من كاتب لآخر لأدوات السّرد وطرائقه المختلفة، فالكاتبات والكُتّاب الشباب واعون بالجنس الأدبيّ الذي يكتبونه، يعبّرون به عن ذواتهم، ويحاولون الإضافة إليه بكتابات متميّزة، وكثيرون منهم أكثر وعيًا من كثيرين من جيلي بماهيّة الأدوات التي يبدعون بها أفكارهم، فيستطيعون استخدامها بما يحقّق دهشةً إبداعيّةً لدى القارئ في الأعمال المتميّزة ممّا يُنشر.

أؤمنُ جازمًا بوجود مواهب كثيرة مُبدعة في هذا الجيل، فماذا نحن فاعلون لها؟

أعتقد أنّنا يجب أن نتخطّى مرحلة مساعدة مَنْ يطلب المساعدة، لنذهب إليهم ونبحث عنهم، نفتح كلّ الأبواب الممكنة، ونقدّم كلّ الفرص المتاحة للموهوبين منهم؛ كيلا تظهر على السطح الفقاقيع القادرة على تسويق ذاتها باعتبارها هي النماذج المعبّرة عن هذا الجيل، كما حدث بظهور فقاقيع كثيرة في أجيال سابقة، وحتى لا يتوه أصحاب المواهب الخلّاقة الذين يمتلكون الموهبة ولا يعرفون أين يذهبون بها، هؤلاء الذين يُناط بهم، ونأمل لهم ولنا أن يخطوا بالسرد العربيّ خطوةً حقيقيّةً إلى الأمام، أثق بأنّهم قادرون عليها.

حروفية الفنان عمر العربي

كيف يتشكّلُ الأدبُ عندَ الشّبابِ بعيدًا عن المدينة؟ عندما تكونُ الطَّبيعةُ هي المصدر

عهود عبد الكريم

«المكان هو الذي يؤسّس الحكيَ؛ لأنَّه يجعل للقصة المتخيّلة مظهرًا مماثلًا لمظهر الحقيقة».

هنري متران، خطاب الرواية، 1980.

كيف تشكّل الأدبُ عند الشباب بعيدًا عن المدينة؟ هُناك حيث الأريافُ والباديةُ، ونشوءُ القصائد والروايات والقصص التي تنبثق من أطراف البلاد بعيدًا عن المركز، وهي المدن التي بدأت من خلالها الثورة الأدبيّة ودور النشر، والاهتمام بالجانب الثقافيّ.

لطالما كانت المدن شُعاعًا يتوق إليه القرويّون؛ لما فيها من فرص الحياة ورغد العيش، وأحداثٍ تتبع من شوارعها المكتظّة، أمّا بالنسبة للشباب الذين يسعون خلف الأدب والكتب، وخوض مغامراتٍ تساعدهم على الغوص في أعماق الكتابة، فكان الأمرُ أكبرَ من السعي خلف رغد العيش.

لم تكنْ للجميعِ رفاهيّةُ الوصول إلى المدينة، بل إنَّ المعظم تشكّلت طفولته دون وجود وسيلةٍ تُمكّنه من معرفة ما يحصل في المدن الكبيرة، وذلك قبل الثورة التكنولوجيّة التي ظهرت في العقد الأخير من القرن العشرين، يتبعه دخول الإنترنت على المشهد الأردنيّ في أواخر التسعينيّات وبداية الألفية الجديدة.

في كتاب (الرّيف في الرواية العربيّة) للدكتور محمد حسن عبد الله، يذكر أنَّ الرّيف والمدينة كلمتان متقابلتان، بينهما تضادّ وهُوّة واسعة لا يسهل العبور فوقها؛ لأنَّها ترتكز على ميراث طويل من العزلة، والاستعداء، والاستعلاء. هذه

الهُوّة العميقة الواسعة واضحة في وطننا العربيّ، أكثر ممّا تشاهد في أوروبا وأمريكا مثلًا، هناك فروق بين الحياة في الرّيف والحياة في المدينة لا شكّ، ويذكر أيضًا أنَّ البداوة قيمة ومشاعر، وأخلاق وسلوك، يمكن أن ترحل مع البدويّ حين يغادر باديته.

على غرار مغامرات (روبنسون كروزو) نجد أنَّ الإنسان سيجد طريقه أينما كان، ومثل قدرة روبنسون على العيش في جزيرةٍ مهجورة، تمكّن الشاب القرويّ من شقّ طريقه الأدبيّ واستخدام الأدوات المتاحة أمامه، إلى أن تمكّن أخيرًا من اكتشاف عالم المدينة الأوسع، واستخدام أدواتها الجمّة في خدمة كتاباته، مع الحفاظ على طابعه الخاصّ.

وأمام مُغريات المُدن، يبقى السؤال يُلِحُّ على الأديب الشابّ: ما هي الوسيلة التي يُمكنه بها عبور هذا الجسر الهائل من الأدب الممتدّ من المدينة، إن لم يبدأ من خلالها، فهو لا بدّ له من الانتهاء بها لسدّ فجوة الفروقات التي بُنيت بينهم.

يذكر كتاب (الرّيف في الرواية العربية) عن رواية (المذنبون) عام 1965 للكاتب فارس زرزور، حيث تروي الرواية أحداثها في منطقة حوران في سوريا، قرية (الصيرة) هزيلة منسيّة، بعيدة عن طرق المواصلات، بينها وبين عصرنا مئات السنين، استمدّت اسمها من أسوار الحجارة السوداء التي تُحيط ببيوت قميئة كالجحور، وراء مأساة القرية إقطاعيّ لم يظهر في الرواية، وإن كان يهيمن على الأفكار، ويملي كثيرًا من السلوكيات.

أمّا في رواية (واحة بلا ظلّ) عام 1979 للكاتب عمر بن سالم، التي تقع أحداثها في جنوبي تونس، والكارثة في الواحة من صنع الحكومة، فقد حرص الكاتب على تحديد الإطار الاجتماعيّ للقرية في بعض جوانبه، كأحاديث النساء ومشاحناتهن، وتعلّقهن بالخرافات والسّحر، وكرامات الأولياء، وأساليب العمل المنزليّ، وطرائق البيع والشراء في القرية.

كما نرى أنَّ حديثه عن الروايات التي حصلت أحداثها في القرى، قد تأثّر كُتّابها بالموروث الثقافيّ للمكان وجغرافيّته، وتفاعلهم ممّا يحصل في المُدن دون أن يلغي بذلك الأساس، وهو حياته في هذه القرية، القالب الذي يعتمد عليه في الكتابة.

قبل أن تجد قدمايَ طريقهما إلى العاصمة عمّان، كان الأدب لديَّ يتشكّل من حكاياتٍ تسردها لنا امرأةٌ طاعنةٌ في السّنّ، وقبل معرفة أنَّ في هذا العالم كُتبًا وكُتّابًا وتحوّلاتٍ أدبيّةً ودراساتٍ جمّةً عن تطوّر الأدب، لم يكن لي سوى حكاياتها الخياليّة التي تسحرني بجاذبيّتها، ولا تزال في ذاكرتي للآن، رُغم ذلك لم أتمكّن حينها من إدراك رغبتي في الكتابة؛ وذلك لأنَّ القرية التي عِشتُ فيها لم تحتوِ على أيّ مادة، سواءٌ أكانت مكتوبةً أم تفاعلات بشريّة متنوّعة.

أمّا في المدرسة، وعندما كتبتُ أول نصّ لي، كنتُ حينها في صفّي الرابع، ومن هول المفاجأة أخذ جميع مَنْ في الحيّ يتداول هذا النّصّ لعرضه في مدرسته، وتساءلتُ حينها: هل هُناك حقًّا أحدٌ غيري يمتلك هذه الموهبة؟ بكلّ بساطة هذا ما كان عليه العيش في مكانٍ ناءٍ لا تعرف فيه أبعد من خطّ الحيّ الذي تعيشه.

وعندما وصلتُ للعاصمة، كُنتُ كمن أزال عصابةً عن عينيه، فأبصر أخيرًا، كان عالمًا مُذهلًا لم أتوقّعه. مع هذا كانت كتاباتي تفترق للحسّ المكانيّ، فلا يُمكنني الكتابة عن مدينةٍ لم أحفظ شوارعها بعد، ولم أجد في مكان نشأتي ما يُمكن الحديث عنه، بالإضافة للمخزون المعرفيّ والتفاعليّ الذي لم يكتمل بعد.

أمّا الأمر بالنسبة لمعظم الكُتّاب الآخرين الذين ذهبوا للمدن أو هاجروا لخارج بلادهم، فلم ينسلخوا عن نشأتهم، ظهر هذا واضحًا في كتاباتهم، حتى لو كانت كلّ أحداثها في المدينة، نجد ذلك في كتاب (مدن العرب في رواياتهم) للدكتور علي عبد الرؤوف، حيث يذكر أنَّ المكان الفنّيّ في الرواية بأبعاده الطبوغرافيّة والتاريخيّة،

والنفسيّة والجماليّة، سواء أحال على مدينة، أم على قرية، أم على بحر، أم على غابة، أم على أيّ من تفاصيل هذه الأشياء ومفرداتها، هو غير المكان الواقعيّ، حتى لو كان صورةً عنه، كما أنّه يتميّز بفضائه التخييليّ واستمراريّته، وإمكان تأويله، وسهولة التواصل معه.

من خلال كتابه يشرح مدى تفاعل الرواية بالمدينة بما فيها من مظاهر عمران، ونمط حياة واختلاط بين البشر، وانفتاح على الآخر، فالمدينة تبدو حاضنًا لها من جهة، وفضاءً لسردها من جهة ثانية، فضاءً لأحيائها وأزقّتها، وشوارعها وحواريها، وأحلام ساكنيها وحكاياتهم، وكشفهم لجماليّاتها وقبحها، تشير في المحصّلة إلى الأهميّة الجغرافيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة، والرمزيّة والدلاليّة للمدينة، ومدى ارتباط الشخصيّات والأحداث بها.

«سواء أكانت الرواية ملحمة الطبقة الوسطى كما وصفها (لوكاش)، أو وليدة الكرنفال الذي ينقض التراتب القمعيّ بين البشر كما وصفها (باختين)، فإنّها تظلّ مرتبطةً بالمدينة ارتباطها بالفضاء الذي تولّدت منه، والذي تُعيد صياغته؛ لتكشف عن تحوّلاته وصراعاته واتجاه حركته، فتغدو الفنّ المدنيّ الذي لا يكفّ عن توليد المفارقة الناتجة من توتّر المسافة الفاصلة بين الواقع الحاضر والمثال الغائب». (جابر عصفور، عن الرواية والمدينة، الحياة 2003).

وكما هو الحجر الذي يسقط في الماء الراكد، كان الأدب يتسلّل مكوّنًا حلقاتٍ دائريّةً صغيرةً للشابّ القرويّ، حتى استقرّ مكانه في قاع الفكر اللاواعي، وعليه أن يختار حينها هل يخلع ثوبه القرويّ ويتقمّص حياة أهل المدينة؛ لما فيها من تقلّبات أو أحداث، أو يستخدم صحرائه وطبيعته الهادئة في خلق عالمٍ لا يعرفه الكثير، من خلال سردِ دلالة الصحراء، واستخدامِ العُرف السائد فيها، والخرافاتِ المتوارثة، والحِكَم التي خطّها الأجداد في ذاكرة الآباء، أم عليه أن يستفيد من المدينة في إثراء أدبه القرويّ أو صحرائه الجافّة؟

مع أول روايةٍ نشرتُها تعثرتُ بأول دائرةٍ تشكّلت في مسيرتي الكتابيّة، فلم أتمكّن من الغوص في بحر الأدب المدنيّ، وكان لهذا البعد الجغرافيّ أن يحدّ من الإبداع، ومع هذا أيضًا يكون منبعًا له، ففي هذه الصحراء يُمكنك أن تُدرك الأدب من تأمّلك الداخليّ، وشخصك الذي لم يتبدّل نتيجة التفاعل مع المئات من البشر، والطبيعة التي جاءت تغيّراتها بطيئة، لذا نرى أنَّ الإبداعَ هنا حجرٌ خامٌّ يحتاج للصقل، ولا يوجد أفضل من المدن لفعل ذلك.

في كتاب (شعريّة المكان في الأدب الحديث) من تحرير بطرس الحلاق، وروبن أوستر، وشتيفن فيلد، ذكر أنّه على الرغم من أنَّ عمر الرواية العربيّة الآن يقترب من القرن، فإنَّ الصّحراء لم تُصوَّر بشكل واضح في عدد كبير من الرّوايات إلّا في العقدين الأخيرين، وذلك في أعمال مثل رواية الكاتب المصري صبري موسى (فساد الأمكنة) في عام 1976، وروايتي الكاتب السعودي عبد الرحمن منيف (النهاية) في عام 1978، وخماسيّة (مدن الملح) بين عامي 1989–1984، ورواية الكاتب أحمد إبراهيم الفقيه (حقول الرّماد) في عام 1985، ومعظم أعمال مواطنه غزيرة الإنتاج، وأيضًا أعمال الكاتب الطوارقي إبراهيم الكوني.

وفي شهادة إبراهيم الكوني من الكُتّاب، يقول: «كنتُ أشعر حينئذٍ أنَّ الصحراء قد أوحت إليَّ أو كلّفتني في ما يشبه النبوءة، أن أصوغ بالكلمات صوتها الذي لم تُصدره بعد. نحن نعلم تمامًا أنَّ الأماكنَ قد قالت كلمتها، وبلغنا حديثها، البحر على لسان هرمان ملفيل، المدينة بفضل ديستويفسكي، الرّيف مع فرنسوا مورياك... إلخ، حتى الفضاء الخارجيّ أعلن كلمته على لسان أنطوان دي سانت أكسوبيري، فقط الصحراء لم تنطق كلمتها بعد.

إنَّ مصطلح الكلمة أو الحديث يعني بالنسبة لي ملحمة الأزمنة الحديثة، فأنا أعتبر أنَّ الشعر العربيّ القديم الكلاسيكيّ، الذي تحدث كثيرًا عن الصحراء لا يفي بالغرض، حيث إنّه ليس ملحميًّا. إنَّ كتابة الرواية بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، تعني قبول مهمّة نبويّة/ رسوليّة تتمثّل في

اتخاذ حياة مغايرة، بدلًا من الحياة العاديّة التي يحياها الأناس العاديّون، أن تتنازل عن حياة الناس لتحيا في ما هو أبعد وأسمى من العالم الأرضيّ».

وبالرغم من سنوات اغتراب الكاتب إبراهيم الكوني عن صحرائه، فإنّها تمثّلت في كلّ كتاباته، فأينما يذهب الأديب لا يمكنه أن ينسلخ تمامًا عن نشأته، بل تصبح كتاباتُهُ محورَ اهتمامٍ لما تحتوي من عناصر الفضول؛ لمعرفة هذا العالم البعيدٍ عن المدن، الموصوف في الكتب، وبهذا قد يتشكّل الأدب عند الشباب بعيدًا عن المدينة، لكنّه ينمو فيها ومن خلالها، وقد ينتهي بها أحيانًا.

وفي حوارٍ مع الكاتب الأردني جلال برجس على موقع بوابة الأهرام، يقول: «عملتُ ثمانيةَ عشرَ عامًا في الصحراء الأردنيّة الشرقيّة في هندسة الطائرات الحربيّة، الصحراء قادتني بكلّ تقلّباتها إلى كتابة الشّعر، رغم أنّي كنتُ أخوض تمرينات ذاتيّة عديدة على كتابة الرواية، لكنّي كنتُ بحاجةٍ لعالم الشعر هناك، ذلك العالم الذي رأيت عبره الأشجار والماء والأيائل عبر ما كتبتُ، لقد منحني الشّعرُ قدرةً على رؤية الصحراء جيّدًا، ومنحني نوعًا خاصًا من التوازن، لهذا بدأتُ من حيث النشر بالشّعر، ومن ثم أصدرتُ في القصة القصيرة قبل أن أجدَ عندي رغبةً في الكتابة عن الأمكنة، ثم أتت الرواية لتأخذ كلَّ جزءٍ من وقتي، ويأخذ الشِّعرُ الجزءَ الآخر».

في النهاية نجد من كلّ الروايات التي ذُكِرَتْ، ومن كلّ الشّعراء والكُتّاب الذين انبثقت كتاباتهم من جميع أنحاء العالم، أنَّ الأدب قد نشأ لديهم بعيدًا عن المدينة، متصلًا بها، مُختلفًا عنّا، مُتلاحمًا بها، ويحمل جوهرها في داخله؛ ليأخذ الأديب الشاب متاعه من الذكريات المكانيّة، سواء رحل عن مكان نشأته أم لم يرحل؛ ليفرد أدواتها في كتابته، ويعرض لنا صراعاته المتأجّجة كما يقول الكاتب (يوري لوتمان): «المكان حقيقة معيشة، تؤثّر في البشر، وبالقدر نفسه الذي يؤثرون فيه، فلا يُوجد مكان فارغ أو سلبيّ».

مهما جلتُ من الأماكن، ومهما أخذتني الأقدار، ستبقى هذه الهالةُ من نشأتي، تملكُ القوة عَلَيَّ وعلى كتاباتي، تأخذُ تأثيرها دون أن أشعر بشعريّة المكان، وبحداثة المُدن وتطوّرها تكون النتيجة لهذا الأثر.

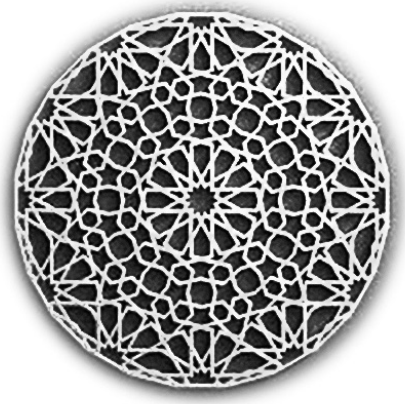

خرقُ الإشاراتِ الحمراء.. مظاهرُ الكتابةِ الجديدةِ لدى أحدثِ أجيالِ قصيدةِ النَّثر

شريف الشافعي

تواجه قصيدةُ النّثر العربيّة تحدّيًا أساسيًا، يتمثّل في مدى قدرتها على تجاوز ما اعترى أغلب نماذجها خلال السنوات الأخيرة من تنميط ومجانيّة في التناول، فلقد باتَتْ تعتمد في بِنيتها وأخيلتها وصورها ولغتها على الجاهز والمُعلَّب من كليشيهات المواقف اليوميّة العابرة، وترتكز على المألوف من التفاصيل الاعتياديّة واللّقطات المعاد تدويرها والنثارات الهامشيّة.

وقد أدّى ذلك الاستسهالُ إلى وصولها إلى حالة من التكلّس والاجترار والتّسطيح، ووقوع كثيرٍ من شعرائها في فخّ التشابه، وغياب البصمات الشّخصيّة، خصوصًا مع انتشار الخواطر الفيسبوكيّة، مع أنَّ قصيدة النثر في الأصل هي صوت الذّات الفرديّة في أوج تحرّرها وانطلاقها، وانفلاتها واجترائها، وكسرها أفق التوقّع.

وفي خِضَمّ هذا المشهد الشّعريّ الرّاهن، الذي يحمل ظلالًا ثقيلةً على امتداد آفاقه الواسعة، تتبلور نقاط مضيئة لدى أحدث أجيال شعراء قصيدة النثر في مصر والعالم العربيّ، ففي وسط الرّكام والطّنين هناك قلّة واعية من الشّعراء والشّاعرات يعون جيّدًا مسار قصيدة النثر العربيّة منذ مولدها إلى اللحظة الحاليّة، ويحرصون في تجاربهم المدهشة على إنعاشها وتطويرها ودفعها إلى الأمام، وذلك من خلال شحنها بتمظهرات جماليّة وتجلّيات إبداعيّة مغايرة، على مستوى الأفكار والتّشكيل، والموسيقى والأسلوب، والشّكل والفنّيّ، وغيرها من عناصر الشّعر، ما يمثّل خروجًا جذريًا عن الأنساق الماضية.

وفي رهانهم الحيّ على الاشتباك المباشر مع نبض القصيدة وحركة الحياة، يمضي شعراء قصيدة النثر الجُدد صوبَ خوض معترك الواقع المشتعل، راسمين خرائط القسوة والانكسارات، ومحتفين بالوجع والهزائم، وانهيار البشر والكلمات في آنٍ واحد.

وهم لا يحتمون – كالأجيال السّابقة – بالقصائد باعتبارها أبنية استثنائيّة وعوالم بديلة موازية، تتّسع لحيوات أخرى، وترفض الواقع الكائن، ولا تتقاطع معه. لكنّهم — على الجانب المضاد — ينبذون فكرة إعادة صياغة الوجود جماليًا، ويكادون يزهدون تمامًا في الإيمان بقدرة القصيدة على الثبات والاستقرار كقلعة في مهبّ العواصف العاتية، التي تزيح كلّ ما هو أمامها، ولا تُبقي أثرًا للكلمات.

وتستند أعمال هؤلاء الشّعراء الجُدد إلى ما تحصده بيدها بشكل ملموس من مرارة وأسى، وأسف وألم وجراح في جهات صراع الإنسان العصريّ المغلوب على أمره، فهي قصائد مواجهة الوحوش الكواسر، والحروب الضّواري، وألسنة اللهب والأدخنة بغير عتادٍ صالحٍ، وهي قصائد التفاعل مع حقائق بائسة ينبغي تصديقها، تؤكّد تشرذم الأرواح وتشظّي الأجساد، وتفتّت ملامح الحياة في شذرات صغيرة هاربة.

إنَّ الحياة هي الحياة، كما أريدَ لها أن تكون، سلسلة مغامرات وتقلّبات تنتهي بإحباطات وانكسارات، ومتاهة مفتوحة على البارود والأدخنة وألسنة اللهب، وألغام الخطر والقلق، والتّصدّع والزّوال. ورغم ذلك فلا مفرَّ من التّعاطي اليوميّ معها، وإن لم تكن في المُحصّلة غير لمحة من سراب.

وبمنظور هذه التّجارب الشّعريّة العربيّة الجديدة، فلا عالم غير هذا العالم الضّبابيّ القائم، ولا مجال للصيرورة في كيانات موازية هشّة من نسيج الكلمات، ولا فضاء يمكن أن تقود إليه مركبات التّخييل والأحلام والأساطير. إنَّه الصّندوق الكونيّ الضّيّق، الذي يضمّ أجزاء الجميع المختلطة، وشظايا أجسادهم وأرواحهم، وإن كانوا شعراء.

وهكذا تكاد تصل قصيدة النثر الجديدة إلى أن تكون هي الحياة نفسها، الحياة الواحدة المتوتّرة التي يعرفها البشر، ويكابدون ويلاتها ليل نهار، وليست حياة أخرى موصوفة أو مصنوعة أو مُتوهَّمة، أو مُتَمنّاة أو مُتَشهّاة، ومن ثَمَّ فإنَّ أنفاس الشّعراء تأتي مشحونةً بلحظاتهم القليلة التي ربما لا يملكونها، لكنَّهم يخبرونها جيّدًا، وممسوسة برائحة الأرض وما يجري عليها من صراع وتفكّك، وتهتّك وانهيارات، ودوران عبثيّ لا يُفضي إلى وصول، وتساؤلات لا تنتهي بحلول.

ومن بين هذه الأعمال الشّعريّة الجديدة، يمكن التوقّف الخاطف في حدود هذه المساحة، عند مجموعة من الدواوين الصادرة حديثًا لشعراء وشاعرات مصريّين وعرب، لقراءة بعض جماليّاتها التي تتعاطى مع مساحات الخرائب، وفوّهات البراكين، وميادين الدّماء، وملامسة حروفها الطازجة النيّئة، التي لا تَعِدُ أحدًا بشيء سوى التبخّر، مثل كلّ زائل في هذا الكون المنهار بأكمله.

في مجموعتها (سمكة زينة في صحن الخلود)، الصادرة عن (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة)، تنسج الشاعرة

المصريّة رضا رقصتها الفريدة فوق قشرة أرضيّة ترجرجها الزلازل المُفزِعة، ولا تحاول الذّات الشّاعرة التبرُّؤ من عذاباتها، ولا تفتّش عن علاجات للخوف والحزن، والكآبة والأذى؛ وذلك لكيلا تفقد مكابداتها اليوميّة المُفضّلة، ومتعة تحسّس الجروح النّشطة التي تجعلها تصدق إنسانيّتها، وسط كلّ ما يحدث من خراب مذهل، وما يجري من تعفّن للحياة أسفل ساعة الحائط، «فريدة هي انهياراتك/ سيل يخطفك مثل نسمة باردة/ ولا يعيد إليك الغبار الذي كان يسند ظهرك/ ويثقل جسدك في وقفته البليدة/ أجلس في موضع الألم/ أنثر رماد قلبي وندف أحلامي/ وأقول إنّني بالكاد اقتربت من جرحي».

ويتخلّص الشّاعر العراقيّ عامر الطيب في ديوانه (الأفعال الماضية إلى الأبد)، الصادر عن (الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة) من الرّكام اللُّغويّ، بإزاحته خارج البرواز، أو بتقليصه قدر الإمكان وتهميشه في حيّز الصورة، باعتبار أنَّ هذا الوعاء اللّغوي اختراع توصيليّ قاصر وعاجز إزاء طبيعة الحالة الملتهبة، «ما الذي نستخدمه من اللغة، إذا كانت موهبتنا دمعة متعجّلة؟».

وينتقي الشّاعر قائمة قضاياه المصيريّة وَفْقَ فِقه أولويّاته هو، كمواطن عاديّ، وكإنسان بسيط مسالم يعبر الدّروب ويذهب إلى الأسواق، ويكابد أزمات ومشقّات في العمل، ويلتقي حبيبته بشوقٍ في زحمة الحياة؛ من أجل نظرة عاجلة أو قُبلة خاطفة.

إنَّ أزمة العراق لدى عامر الطيب ليست هي التي يتحدّث عنها المُحلّلون والمؤتمرون والمعارضون، لكنَّ أزمة الوطن في منظومة مفاهيمه وتفاصيله ومشاويره اليوميّة، هي باختصار أنَّ العراق الحالي «مكانٌ مربكٌ لعاشقين»، كما أنّه «زمانُ رجوعنا عجوزين إلى البيت».

أمّا الشّاعرة التّونسيّة هدى الدغاري في ديوانها (يا كلّي الناقص.. يا فداحتي الكاملة)، الصادر عن (دار سحر، تونس)، فإنّها تنفي احتماليات احتوائها على بحر داخليّ، أو حتى نهر صغير، لكنَّها في الوقت نفسه تعرف السّيولة جيّدًا، والتجمّد، والذّوبان، والغليان، وتتنقّل كالماء وبخاره بين حالات متناقضة متنافرة، لا مجال لهندستها تحت مظلّة الفوضى السائدة، ولا سبيل لتوقّع مساراتها وانحرافاتها في متاهة كونيّة خاصمت الخرائط الدالّة والبوصلات الهادية منذ عهد بعيد.

وتتحوّل الذّات إلى تشرذمات وانقسامات، والعالم إلى نثارات موجعة وشظايا مستعرة، ولا ينطلي الكمال الافتراضيّ إلّا على ما هو فادح قاسٍ، كالفقد والخذلان، والتوحّش والاغتراب، والأسى والظلمة، والحاجة المُلحّة إلى الآخر، ذلك الذي تماهى مع الخارج، فبات شبحًا: «لا أحبّ الخارج مطلقًا/ يستهويني الداخل بفوضاه الحارّة/ عروة معلّقة بفوّهة بركان/ لحم مقدّد تحت شمس قاتلة».

وفي ديوانه (شيطان) الصادر عن (دار الدراويش للنشر والترجمة، بلغاريا)، يتهجّى الشّاعرُ السّوريّ علاء زريفة خطوطَ الدّم المشتعلة، ونقاطه الحمراء المتفجّرة في صدره وبين أصابعه، ويقترب الشّاعرُ من تخوم موته البطيء، ذلك الموت الذي لم يعد يخصّه وحده في تراجيديا الهلاك الجماعيّ، حيث الأنقاض والخرائب، والشرور والأبالسة: «الأبطال المُعدمون ماتوا/ ولم يبقَ إلّا الممثّلون/ لم يبقَ من أثر الأرض.. سوى أطلال مملكة/ وجنود طيبين تركوا أسماءهم/ في سِفْرٍ ناقص.. أخفاه الجنرال».

وباتّكاء بنية الديوان على الفكاك من هيمنة الأب، «أبي المخبول: أنا بريءٌ منك/ أنا ملحدٌ بك/ وما كفرتُ/ سامحني لأنّني لا أحبك»، يؤكّد النّصُّ انحيازه كليّةً إلى الانفلات من الأنساق السابقة.

أمّا الشاعرة المصريّة آلاء فودة في ديوانها (بحّة في عواء ذئب)، الصادر عن (الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة)، فإنّها تحفر تمرّدها الخاصّ في مسارين: الأول: هو تجاوز السّائد في الكتابة الشّعريّة من خلال جماليات متفجّرة، وأفكار طازجة، وخيالات مبتكرة، وانزياحات تصويريّة وتعبيريّة مغايرة للمجانيّ والمُتكرّر. والثاني: هو

حرصها على التحرّر من المفاهيم الضيّقة المتعلّقة بقضايا المرأة، إذ تكتسب قصيدة النثر النسويّة في تجربتها أبعادًا إنسانيّةً أعمقَ وأوسعَ من كونها ترجمةً للمسائل الجندريّة والجنسانيّة والحقوقيّة وما ينحو ذلك.

وتُطِلُّ الشّاعرةُ على الأزمة البشريّة الأعمّ، والمصير المشترك، ومأساة الكائن الآدميّ في أوطان تتبدّل وتتمزّق، وحياة تغيب، وعالم يتهاوى ويتشظّى، ووجود عنوانه القسوة والفقدان واللاجدوى في كلّ شيء، حتى الكتابة «ليس لديَّ ما أقوله/ القصائد ضعيفةٌ جدًّا، في إزالة ركام الدخان من صدري/ وأنا طفلة، تملّكتني ريح، وقذفت بي في آخر الممر».

وفي ديوانه (اسمُها في الغيب زُليخا) الصادر عن (مؤسّسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة)، يتقاطع الشاعر المصريّ عبد الوهاب الشيخ ظاهريًّا مع مقولة نجيب محفوظ في أصداء السيرة الذاتيّة: «ما الحبّ الأول إلّا تدريب ينتفع به ذوو الحظ من الواصلين»؛ ليقترح مفاهيمه الخاصة المغايرة حول العشق والجمال والوصول.

ويتحقّق ذلك، ليس بالاستناد إلى الموروث من التصوّف والإشارة من اللغة، وإنّما من خلال تجربة حياتيّة زاخمة، ولغة قريبة طيّعة، «نعم أنا رجل طيّب، أحمل في عنقي نير أجدادي، وأسير خفيفًا كنسمة ريح... رجل طيّب، لذا حين آمره... يطيعني، الفراغ، فيمتلئ بأصوات كثيرة، تسليني، وتسري عني».

وفي ديوانها (جغرافيا الحساسيّة) الصادر عن (دار رواشن للنشر، الإمارات)، تعترف الشاعرة المصريّة أسماء حسين صراحةً، بعدم قدرة الكلمات على فعل أيّ شيء في مواجهة ما يحدث من انهيارات، «أنا لستُ بارعةً في الكتابة، بل في الندم».

وتقف الكلماتُ عاجزةً حتى عن وصف ما نستشعره ونفكّر فيه، على حدّ قول (فيودور دوستويفسكي): «تتعذّب أحيانًا؛ لأنَّ أفكارك لا تسعها قوالب الألفاظ». وتتقصّى الذات الشاعرة محطّات ماراثون القسوة، والحالات المتتالية لهذا الانكسار الكامل، الذي جعل الشجاعة بلا معنى، والنهوض بلا طائل، «أزحف على بطني، كما المبتور/ لا أستطيع الوقوف على قدمي، لا أقوى على النهوض/ لم أعد شجاعًا يا عزيزتي، لقد كسروني بالكامل».

ومن جهته الشاعر المصريّ محمد الرفاعي في ديوانه (بُكاء عُملة معدنيّة) الصادر عن (الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة)، يُقدّم لقطاته المثيرة ومفارقاته التي يُحدِثُ بها انزياحات في مشاهد قصيدة النثر وتشكّلاتها الجديدة، فهو لا يرصد التفاصيل البريئة والمشاهد العابرة ميكانيكيًّا، وإنّما يستغرق في القبض على حساسيّة اللحظة المعيشة وتحليلها، وتفجيرها بخيالات وثّابة وصور ومعالجات غير دارجة، «يسبقني إليكِ، بدقّتين.. قلبي الذي تركني، وظلّ يركض نحوكِ مُسرعًا، حافي القدمين».

ويستعرض الشاعر اليمنيّ محيي الدين جرمة في ديوانه (هم احتطبوا دمي)، الصادر عن (الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة) تفاصيل البقاء المرعب، من غير نوم ولا يقظة في عراء الحروب، حيث لا خبز يكفي للبقاء على الأرض، ولا للطيران إلى ما وراء الطبيعة، ولا أمل في نجاة مستحيلة بعد هذه الخسارات التي طالت الجميع، «حفاة نسير بلا جهة، قبل أن نبلغ الفجر/ فُرادى نقلّم أظفار أحلامنا، في الطريق إلى فشل الكل».

ويحفل الديوان بالصور والأخيلة التي تُطلق القصائد في فضاء الدّهشة، فإذا كان هناك مجال للاحتطاب مثلًا في هذا العالم، فهو احتطاب للدماء، وإذا كان هناك إزهار في هذه الحياة، فهو أيضًا إزهار للدماء التي لا يتوقّف نزيفها، «هذا دمي قلت، هذا دمي، ثم أزهرتُ».

أمّا خصوصيّة الشاعر في هذا التوقيت الذي يستوي فيه الراحلون ببلوغهم مراحل الفناء والعدم، فهي أنّه يصير بقصيدته الحمراء مَعْبرًا أو جسرًا للمارّين من الدّم إلى

الـدّم، في مـا تُغلـق السّـماءُ بدورهـا أبوابهـا في وجـه الطيـور المتشـبّثة بالأغنيـات، «أنـا طائـرك المتشـرّد في الأغنيـة/ لا سـماء لأجنحتي لأطيـر، ولا ورد لـي فيكَ/ لا شـيء غيـر دمـي الآدمـي».

ويرسـم الشـاعر السـوريّ باسـم سـليمان في ديوانـه (رأسـي البسـط.. جسـدي المقـام.. أنـا كسـرٌ بـين الأرقـام)، الصـادر عـن (المركـز العربـيّ للصحافـة، القاهـرة)، خرائـط القسـوة والوحشيّة والانكسـارات، بداية من عنوان الكتاب حتى آخـر عباراتـه، «تسـتطيع أن تكـون صانـع آلات موسـيقية/ لكـن قبـلًا، كـن جـزّارًا في سـوق اللحـم».

ويُمعـن الشـاعر في اسـتبعاد أيّـة إمكانيّـة للخـلاص أو النجـاة عبـر الاحتمـاء بقصيـدة زائلـة، أو التعويـل علـى مفـردات عاجـزة، لا تعـدو أن تكـون حشـرجات سـاعة المـوت، ورثائيّـات بعـد التلاشـي والتحلّـل والذوبـان، «اللهـاة في الحلـق، كيـس ملاكمـة، مملـوء بالرمـل، تتمـرّن الكلمـات بـه، علـى اللطـم، قبـل أن تخـرج مـن أفواهنـا».

ومـن جهتهـا الشـاعرة المصريّـة إيمـان عبـد العزيـز في ديوانها (الفئـران تجيـد الرّقـص أيضًـا)، الصـادر عـن (الهيئـة المصريّـة العامـة للكتـاب، القاهـرة)، ترتكـب مشـاغبات إبداعيّـة، محلّقـة بجناحـين همـا التحـدّي والجنـون علـى طـول الخـط، وفي سـائر المسـارات، ومـن ثـمَّ فـإنَّ تسـميتها «لوثـات شـعريّة»، كمـا في عنـوان إحـدى القصائـد، تبـدو تسـمية ملائمـة لهـذه الومضـات مـن قصائـد النثـر، التـي تشـاكس الواقـع المُربـك بحمـاس، وتنازلـه باندفـاع، وتشـتبك معـه بنـدّيّـة وجـدّيّـة، وتنتصـر مـرّةً

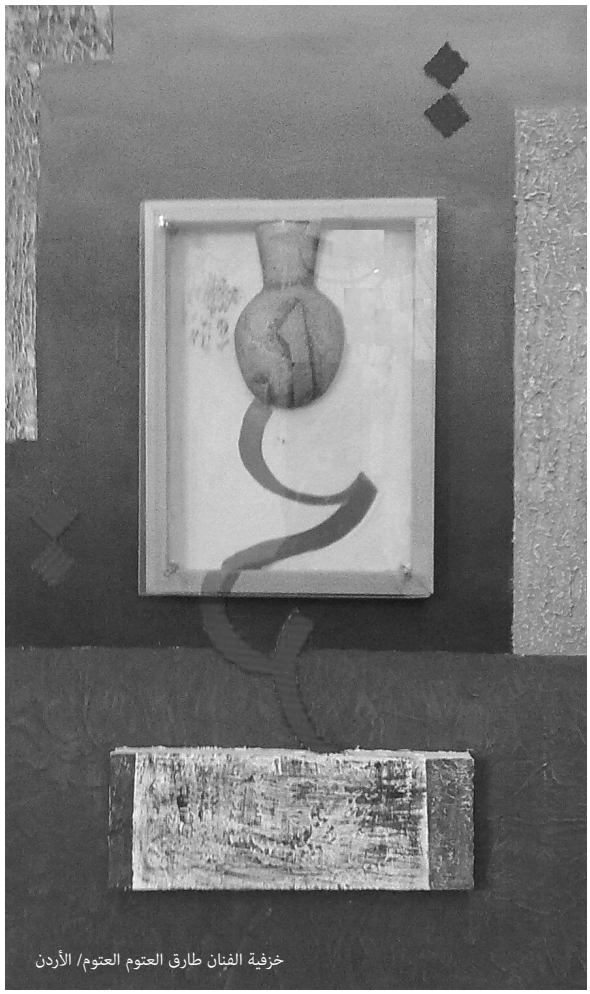
خزفية الفنان طارق العتوم العتوم/ الأردن

وتنهـزم مـرّةً أخـرى، وتكسـب جولـةً هنـا وتخسـر شـوطًا هنـاك، مستمسـكةً دائمًـا بكسـر الخطـوط الحمـراء كضـرورة لازمـة، ومعتبـرة أنَّ المسـالمين أكثـر ممّـا ينبغـي هـم البلهـاء في هـذا الكوكـب، «أيّـة حماقـةٍ دفعتنـي لأن أهـوى أبلـه، لـم يخـرق قـطّ إشـارة حمـراء؟!».

أدبُ الشّباب

لطيفة القاضي

الأدبُ بشتّى فروعه هو إنتاج بشريّ يُصوّرُ أوضاعًا وحالاتٍ ومشاكلَ اجتماعيّةً وسياسيّةً وثقافيّةً، أو دينيّةً، فهو تصوير للحياة، وذلك التصوير لغاية التأثير، لذا هو مرآة تعكس كلّ هموم المجتمع الذي نشأ فيه ذلك الأدب وأحواله.

تتشكّل عبارة (أدب الشباب) من كلمتين: الأولى أدب، ومعناها اصطلاحيًّا تلك الكتابات الأدبيّة الإبداعيّة من شعر ونثر ومقال، ورواية وقصة قصيرة، ومسرح، التي يوجد فيها جماليّات وتصوّرات لإيصال معنى محدّد، والثانية مصطلح (الشباب)، ومعناه تلك الفئة العمريّة بين عمري (18 إلى 40 سنة)، ويعالج هذا الأدب مشكلات الشباب وهمومهم وقضاياهم، فهو تركيب إضافيٌّ يُراد به الأدب الذي يتصل بالشّباب، ما يكتبه الشباب وما يُكتب لهم، لقد أشير لهذا الأدب بعدة أسماء، منها: روايات الشباب أو قصص للشباب.

نشأة أدب الشّباب

إنَّ أدب الشّباب من المصطلحات الأكثر غموضًا في الأدب العربيّ المعاصر، راج هذا المصطلح في السبعينيّات والثمانينيّات من القرن المنصرم، عند اختراع المطبعة والترجمة وانتشار التعليم، ومن هنا ازداد شغف الشباب بمتابعة القصص والحكايات، حيث صدرت رواية (سيد الذباب) للكاتب (وليام غولدنغ)، وكان للرواية الأثر الكبير في تكوين وعي أوساط الشباب في تلك الفترة، وتعلّق هؤلاء الشباب بقصة البطل الشابّ المُعذَّب في أعماقه.

وصدرت رواية (روبنسون كروزو) لكاتبها البريطانيّ (دانيال ديفو) في مطلع القرن الثامن عشر، التي كان بطلها الشابّ الشّغوف المغامر الذي يسافر ويترك كلّ شيء، أسرته وبيته، ويهرب ليعيش حياة البحّارة التي طالما كان توّاقًا وشغوفًا بها.

هذه القصص الرمزيّة التي لاقت إعجابًا كبيرًا من الشباب، وأظهرت ميل الشباب للرواية أكثر من الشعر والمسرح، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الكتب تندرج تحت مسمّى أدب الشباب، فكانت دور النشر تُخصّص كتبًا للشباب تناسب اهتماماتهم وميولهم.

سمات أدب الشّباب

من أهمّ سمات أدب الشّباب المعرفة والخيال العلميّ، واستشراف المستقبل، والمغامرة، فقد أصبحت اللغة مرتكزًا أساسيًا في كتابات الشباب على صعيد التعبير اللُّغويّ، الذي من خلاله تمحور الشباب حول الذات محقّقين أحلامهم ومُجسّدين همومهم، لذلك انقسمت نصوصهم إلى ظاهرتين متناقضتين: الظاهرة الأولى هي التقليد، وتمثّل فئةً من الشباب ينبهرون بكاتب أو شاعر أو روائيّ، فيندفعون إلى محاكاته وتقليد أفكاره ومواقفه، وصوره الفنّيّة وتراكيبه الإبداعيّة، ثم لا يستطيعون التحرّر من قيد التقليد؛ لأنّهم لا يقرؤون إلّا له، ولا يُعجَبون إلّا به، فيحدث لهم مسخ تعبيريّ.

أمّا الظاهرة الأخرى، فهي الشباب الذي يبالغ في الانفتاح على التجارب والآداب والمعارف والفنون الأجنبية، معتقدين أنَّ ذلك الانفتاح هو عين الصواب، فلا يستسيغون كتابات الجيل السابق لهم، وبالتالي يقعون في أسر التقليد أيضًا.

قضايا الشّباب في الأدب

يعاني الشّبابُ كثيرًا من المشكلات والقضايا التي تواجههم في حياتهم، ويقومون بمواجهة هذه القضايا بشتّى الوسائل لإزالتها من طريقهم، بالرغم من أنَّ لكلّ زمانٍ ومكانٍ مجموعةً من القضايا، فإنّه يوجد منها ما يلازم هذه الفئة من الشباب، لذا فإنَّ الحديث عنهم هو حديث عن المستقبل والتحدّيات المُقبلة.

لقد ناقش الأدب الشبابيّ عدة قضايا تهمّ الشباب، مثل الضّغوطات العامة التي يواجهها الشباب في حياتهم، والقضايا الاجتماعيّة والثقافيّة كالعدالة الاجتماعيّة، والهجرة، والصّراعات العرقيّة، والتجارب الناتجة من محاولة التعلّم والاستكشاف، والعلاقات الأسريّة، واكتشاف الهُويّة الذاتيّة والانتماء، والعلاقات العاطفيّة والرومانسيّة، والبطالة، والعلاقات الجنسيّة، والإدمان، والمال والطلاق، والثقافات المجتمعيّة التي تحيط بالشباب، وتشغل حيزًا كبيرًا من حياتهم.

أهمّيّة أدب الشّباب وأثره في الأدب

تأتي أهمّيّة أدب الشّباب من منطلق قدرته على تشكيل وعيهم وتنمية معارفهم، ثم تأثيره الجماليّ وتفريغ الطاقات السلبيّة وحلّ المشكلات، ففي هذه المرحلة المميّزة من حياة كلّ كاتب؛ لكونها بداية الممارسة الإبداعيّة التي ما زالت في طور النشوء والتمرين، وبناء المخزون المعرفيّ، تتوضّح معالم الظاهرة وتتفتّح المواهب، وتظهر الميول والرغبات، فيندفع الشابّ في كتابة نصّ أدبيّ.

تأثّر الأدباءُ الشّبابُ في إنتاجهم الأدبيّ بمصادر عدّة، هي بمثابة الينابيع التي يستقي منها الأديب كثيرًا من أفكاره ومضامينه، يصوغها صياغة أدبيّة بأسلوبه هو حسب ثقافته اللّغويّة، وهذه المصادرُ إما أن تكون مصادرَ تاريخيّةً أو دينيّةً أو أدبيّةً، أو أوضاعًا وحالاتٍ نشأت داخل المجتمع، وأثّرت في شخصية الأديب، ممّا جعله يرغب في التعامل معها وتصويرها تصويرًا أدبيًا.

نماذج من أدب الشّباب

يوجد نوعان من الكتابات الشّبابيّة: ما يكتبه الشباب، وما يُكتب للشباب، ومنه استطاع العديد من الأدباء الشباب أن يضعوا أسماءهم في الوسط الأدبيّ العربيّ، وحصلوا على العديد من الجوائز المرموقة، وتصدّرت أعمالهم قائمة الكتب الأكثر مبيعًا والأكثر تأثيرًا في السنوات الأخيرة، ومنهم الروائي الشابّ أحمد مراد من مصر، وهو مثال بارز، حيث لديه القدرة على اجتذاب جمهور من القرّاء الشباب، ووصل بروايته (الفيل الأزرق) إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربيّة، فضلاً عن تصدّره لقائمة الكتب الأكثر مبيعًا.

أمّا الرّوائيّة الشابّة لطيفة الحاج من الإمارات، ففي رواياتها تتناول مواضيعَ تهمّ الشباب، وتتميّز بسهولة اللغة. والرّوائيّة والقاصّة المغربيّة لطيفة باقا، التي كتبت للشباب وحازت على جائزة الأدباء الشباب، وجائزة القرّاء الشباب للكتاب المغربيّ في صنف القصة القصيرة.

وأيضًا الشّاعر والرّوائيّ الأردنيّ الشابّ أيمن العتوم، الذي لديه العديد من الدواوين الشعريّة والعديد من الروايات التي تصدّرت قائمة الكتب الأكثر مبيعًا، والكاتب والمترجم والشاعر الفلسطينيّ الشاب مازن معروف، الذي له عدة إصدارات، وترجم رواياتٍ جمّةً، ترشّحت بعض رواياته للقائمة الطويلة لجائزة مان بوكر الدولية عام 2019.

والكاتب المصريّ أحمد خالد توفيق الذي كتب للشباب، والمشهور بسلسلة روايات ما وراء الطبيعة والجنّ ومدينة الشياطين، حيث تحظى رواياته بشعبيّة كبيرة بين الشباب. والرّوائيّ الفرنسيّ (جول غابرييل فيرن)، الذي كتب للشباب، وصاحب (20 ألف فرسخ تحت الماء)، و(حول العالم في 80 يومًا)، و(من الأرض إلى القمر)، وغيرها، وله الأثر الكبير في أدب الخيال.

وأيضًا الرّوائي الأمريكيّ (مارك توين) الذي كتب رواية (مغامرات توم سوير)، و(مغامرات هكلبيري فين)، بالإضافة لكتابته الشّعر والقصص القصيرة والمقالات. وغيرهم ممّن يواصل رحلة الإبداع في هذا النوع من الأدب، وهذا ما يبشّر بولادة جيل تنويريّ في الفكر، وآخر تجديديّ ومبدع يبعث فينا روح المتعة بإبداع متدفّق ومتطوّر.

الإيجابيّات والسلبيّات في أدب الشّباب

امتلك الأدباءُ الشّبابُ أدواتٍ جمّةً لم تكن متوفّرةً للأجيال السابقة، مثل: الإنترنت والفضائيّات وغيرها، وكان لوسائل التواصل الاجتماعيّ الدور الأبرز في نجاح أدب الشباب؛ لأنّه بات سهلًا عليهم الاطّلاع على جميع التجارب الإبداعيّة في كلّ مكان من العالم، أضف إلى ذلك سهولة التواصل بين الأدباء الشباب والقرّاء، لقد ساعد أدب الشباب في التفكير في ما يدور حولنا بشكل مختلف، فأثار العديد من التساؤلات عند القارئ، والعديد من القضايا الفكريّة.

من أهمّ السّلبيّات شيوعًا أن يصاب الكاتب بالنرجسيّة والغرور والزهو، فإذا أُصيب الأديب بها أغلق أذنيه عن سماع غيره، وعينيه عن متابعة النصوص الإبداعيّة لأدباء من جيله أو من الجيل السابق، والنتيجة أنّه حكم على موهبته بالكساد.

المشكلات التي تعترض الأدباء الشباب والحلول

من المشكلات وجود ناشر لا يريد المغامرة، ويسعى وراء الربح السريع، إلى جانب تراجع كافة الهيئات والمؤسّسات الثقافيّة عن أداء دورها الريادي في البحث عن المبدع الحقيقيّ، وتهيئة المناخ المناسب والملائم لإبداعه، ومحاولة تقديم الفرص الجادّة له، ووضعه في سياق التنافس الذي من شأنه أن يعمل على النهوض بأقلام الشباب وإعطائهم فرصةً للظهور، وتنمية طاقاتهم الإبداعيّة في مختلف المجالات الثقافيّة.

ولكي نحصلَ على أدبِ شبابٍ راقٍ، لا بدَّ من إيجاد سبلٍ للتواصل بين جيل الشباب المهتمّ بالإبداع، وبين المبدعين والنقّاد الكبار، ويجب توفير النشر الأدبيّ الإلكترونيّ، وإيجاد مواقع لأدب الشباب، وإصدار مجلات أدبيّة تُعنى بأدب الشباب، خاصة في الجامعات؛ لأنَّ النشر يُعَدُّ بمثابة متنفّس إبداعيّ مهمّ في وقتنا الحاضر، لذا يجب إيجاد وسائل مُحفّزة للنشر كالجوائز، وعلينا أن نترك الشباب يمارسون فعل الكتابة؛ لأنّها أفضل الأفعال التي يمكن ممارستها لتصبحَ الكتابةُ الأدبيّةُ ملاذًا لهم.

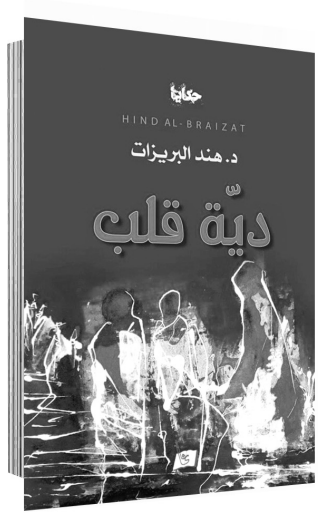

قراءة في (ديّة قلب) للكاتبة الأردنيّة الدكتورة هند البريزات

محمد خضير

ما زالَ المُبدعُ هَشًّا، تخدِشهُ الأفكارُ العابرةُ للتصنيفاتِ الأدبيّةِ، فلم يكن الإنسانُ شاعرًا منذ بكائِه الأول، ولا روائيًّا، أو رسّامًا، لكنّه قاصٌّ وحكّاءٌ منذ اللثغةِ الأولى، فإذا نضجَ قليلًا، سافرَ إلى التّجريب بحثًا عن هُويّةٍ تليقُ باسمه الذي سيحفظُ له سيرتَهُ أكثرَ من أيّ سياسيّ عابر للذاكرة. وكثيرًا ما ذهبَ الكاتبُ العربيُّ الغِرُّ إلى مقارعة قشور الأدب العالميِّ، وعاد إلى أمّته مُحمّلًا بشيء من التطاول على المُنتَج العربيّ الرّاسخ، وتسفيهه من خلال الانتصار لثقافة الآخر وتقليده، مغادرًا أبجديّاتِ العربيّةِ التي رسّخها وحفظها القرآن الكريم، فأنا شخصيًّا أحلُمُ بأن أرى شاعرًا يابانيًّا يكتبُ قصيدةً خليليّةً عموديّةً، كما يفعلُ طارئٌ عربيٌّ أطلقَ على نفسه شاعرَ «الهايكو».

هذا منزعٌ غريبٌ لا ينتمي إلى مدرستنا العربيّة، فما زلنا قادرين على إنتاجِ معرفةٍ فكريّةٍ وإبداعيّةٍ تليقُ بمَسيرةٍ امتدّت من «جلجامش» أسطورةِ بلادِ ما بينَ النّهرين، إلى آخرِ حكايةٍ سردتها أمٌّ «غزّيّةٌ» لأطفالها قبل دفنِهم جميعًا تحت رُكام الصّمتِ والخُذلان.

التّجريبُ – كما أراهُ – تحطيمٌ مقصودٌ للشّكل الأدبيّ المألوف، وذهابٌ إلى تقنيّاتٍ مُبتكَرةٍ وطازجةٍ عن وعيٍ وإدراكٍ لدى الكاتب، وتجاوزٌ للسّائدِ والمعروفِ، ومادةٌ قابلةٌ للغنى والزّيادة تبعًا لامتلاء التّجربة، التي هي نتاجُ تراكمات الخبرات والمهارات عند الكاتب غيرِ المُنقطِع عن قلمه، وهو – أي التّجريب – غير مسؤولٍ عن نتائجِ فشل التّجربة أو نجاحها، وقد يتبرّأُ منها وينقلبُ عليها.

و(ديـة قلـب) عمـلٌ تجريبـيٌّ هـربَ مـن عقـدة الإطـار، وأفلـتَ مـن عقـال التّجنيسـات الأدبيّـة المتّفـق عليهـا؛ ليكـونَ مجموعـةً مـن الحكايـا والمزاوجـات الفنّيّـة، والنّحـت اللغـويّ بإزميـل الغَيْـرةِ التـي ترفـض المـكان المُفـرَد، والزّمـان الـذي توقّفـت عقاربـه عنـد أوّل شـمس، لـذا راحـت المُؤلِّفـةُ تصنـعُ زمكانيّـةً خاصّـةً بمولودهـا؛ كـي تضـعَ لنفسـها موطـنَ قلـمٍ في ذاكـرة المكتبـة المحليّـة والعربيّـة.

تقـول هنـد علـى لسـان (رمقيـس) التـي جمـع اسـمُها بـين (رم) و(أمّ قيـس): «... أخبرتُـكَ يـا (أديلـون) بوضـوحٍ وبتلميـحٍ شـديدين بأنّنـي لا أملـكُ مـن معتقداتـك شـيئًا، سـوى أنّنـي أسـتحقّ الرّاحـة والترفيـه كمـا تفعـل، ومـاذا فعلتَ لـي عندمـا أخبرتُـكَ ذات مـرّةٍ بأنّنـي أشـتهي (ذرةً مشـويّةً)، قلـتَ لـي: «ومـا الفـرقُ بـين المشـويّ والمسـلوق؟ كلّـهُ بـدعٌ لا تعنـي سـوى الرّجعيّـة». وحتـى هـذه اللحظـة مـا زلـتُ أشـمُّ رائحتَهـا، ومـا زلـتُ أراهـا بمنامـي، أنـتَ تؤمـنُ بأنّنـي أهـوى الطّبـخ، لكنّنـي أكرهـه عنـد كلِّ مـرّةٍ أسـجّلُ الدّخـولَ إلـى المذبـح لإعـداد أيّ شـيء، وإن كان كأس مـاء! وأنـا كنـتُ أفضّـلُ المشـيَ تحـتَ المطـر، أو فـوقَ أوراق الخريـف وحـدي دون أن يلحـقَ بـي طفـلٌ، أو دونَ أن تودّعنـي بعبـارة: «لا تتأخـري».

إضافـةً إلـى أنّنـي أهتـمُّ بـك وبشـؤون طفلـك الـذي لـم ألـدْهُ، لقـد نـذرتُ نفسـي لكمـا، والآن مـاذا جنيـتُ؟ لا شـيءَ سـوى حفنـةٍ مـن اطمئنـانٍ مؤقّـتٍ؛ لأنّـكَ تقبـعُ في ظلمـاتِ نفسِـكَ لاقترافـكَ ذنبًـا لـم تقترفـه، وكأنّ القـدرَ عاقبَـكَ نيابـةً عنّـي، فأهدانـي قليـلًا مـن السّـلام والدّفء، حتّـى إنّ وجهـي أصبـحَ مسـتديرًا، وعينـاي تلمعـانِ كنجمـةٍ تزيّنـت بالحُلـيّ، أنـا اليـومَ أقـوى منـك ومنّـي، وأشـجعُ مـن قبـل، لـذا سـأغادر دونَ وداع».

وبنـاءً على طلب الكاتبـة الدكتـورة هنـد البريـزات، قدّمـتُ لحكايـا (ديـة قلـب) الصـادرة في عمّـان عـن دار دجلـة/ ناشـرون وموزعـون، 2024، بالقـول: «لـم تتأخّـر الكاتبـة الدكتـورة هنـد البريـزات في إطلالتهـا الحكائيّـة الثانيـة، ولنـا معهـا إطلالـةٌ أولـى حملـت الاسـمَ المنحـوتَ «أتمَـرت»، الـذي شـكّلَ عندهـا دافـع النيابـة عـن (الآخـر والأنـا)، في سـرد مـا تُخفيـه الصّـدور، ومـا تعجـز عـن حملـه السّـطور... وهـا نحـن في حضـرة حكاياهـا الطازجـة (ديـة قلـب)، التـي اسـتكملت فيهـا الهُويّـة الإبداعيّـة ككاتبـةٍ تُتقِـنُ السّـردَ وفـنَّ الحكايـة.

وفي منتجهـا هـذا لـم تتخلَّ البريـزات عـن دورهـا في فضـح مـا تسـتره الجُـدران والقلـوب، فهـي تعلـم بـأنَّ هنـاك مَـنْ لا يملكـون جـرأة القـول خوفًـا مـن تبعيّـةٍ مجتمعيّـةٍ تأخـذُ بهـم نحـو إسـقاط الشـخصيّة، ونحـو الدونيّـة والعيـب، وتعلـمُ أيضًـا بـأنَّ هنـاك مَـنْ لا يسـتطيعون كتابـةَ آلامهـم وأحزانهـم، فقدّمَـتْ قلمهـا ووقتهـا لهـؤلاء المغلوبـين علـى قلوبهـم... اسـتمعَتْ إليهـم، وحقّقَـتْ في حكاياتهـم، ثـم أسـلمَتْها إلـى قالـبٍ إبداعـيٍّ حكائـيٍّ منسـوجٍ بفطـرة القلـم البِكْـر الـذي يُسـيل حبـرَهُ دون الالتفـاتِ إلـى محطّـاتِ النّقـد البالغـة، صاحبـة الصّـوت الخشـن، فـكلُّ مـا يعنيـه الأخـذُ بصـوت المظلـوم إلـى أن يفضـحَ ظالمـه، وتنبيـه مَـنْ هـم علـى حافّـة الوقـوع في شَـرَكِ الضَّعـفِ الـذي يُحيـل الإنسـانَ إلـى تابـعٍ بـلا قُـدرةٍ أو حـولٍ.

مـا لفتنـي في العنـوان (ديـة قلـب)، الـذي يُشـكّل العتبـة الأولـى للحكايـا، هـو سـلوك العربـيّ العاشـق، الـذي إذا مـا تـورّط في دم الآخـر، ذهـب إلـى عطـوة الاعتـراف قبـل دفـع الدّيّـة التـي أقـرّها قضـاةُ النّـاس، وهـذا العربـيُّ العاشـقُ لا يتوانـى عـن فهـم المقصـود مـن العنـوان، فكلّمـا أوغـلَ في قتـلِ قلـبٍ حملـه ذاتَ عشـقٍ، صـار لزامًـا عليـه دفـعُ هـذه الدّيّـة التـي وإن غَلَـتْ، فلـن تُرجِـعَ للمقتـول حياتَـه، ولـن تُعيـدَ للقلـب نبضَـه... كمـا عنـدَ أولِ نظـرة».

تحـاول هنـد البريـزات مـن خـلال هـذه الحكايـا – التـي تورّطَـت باللّغـة الشّـعريّة -أن تجـد لنفسـها موضـعَ قـدم في عالـمٍ يدّعـي الإنسـانيّة والقيـم، وهـي مـا زالـت تصنـع سـؤالها: أيَّ قلـبٍ يملـكُ هـذا الإنسـانُ الـذي يجلسُ أمـامَ جثّـةِ سـمكةٍ اصطادهـا بخدعـة الصنّـارة، ثـمّ زيّنهـا بالصلصـة ليأكلهـا، دون النّظـر إلـى حـزن البحـر الـذي فقـدَ واحـدًا مـن سـكّانه؟

تسـكن بيننـا كثيـرٌ مـن الحكايـا التـي تحتـاجُ إلـى كاتـبٍ يُجيـد نقـلَ الحقيقـةِ بشـيءٍ مـن المواربـة التـي تحفـظ للضّحيـة مـاء وجههـا، وهـذا مـا فعلتـه الكاتبـةُ التـي نقلـت الواقـعَ إلينـا وهـي تحمـلُ ممحـاةَ الأسـماء؛ كيـلا تُحـرِجَ الألـمَ مـرّةً أخـرى، كمـا طـوّفت بنـا برمزيّـةٍ عاليـةٍ فـوقَ رمـال (رم) وصخـور (أمّ قيـس)، كأنّهـا تُعيـدُ للتاريـخ عمـرَهُ المفقـود، أو كأنّهـا تريـد لنـا أن نكـونَ عمـرَهُ الجديـد.

خزفية الفنان يعقوب العتوم/ الأردن

الأدبُ السّعوديّ بينَ الجسورِ والمكانة

عبد الله الحواس

حروفية سلوناس داغستاني/ السعودية

الأدبُ السّعوديّ بينَ الجسورِ والمكانة

عبد الله الحواس

كان يريدُ بشدّةٍ أن يكتشفَ العالم الواسع، لم يكن بمقدوره السّفر والترحال، لكنَّ شغفه المتوقّد كان يدفعه لإيجاد طريقةٍ ما لتحقيق مراده، وبينما هو حائرٌ يمشي في شوارع مدينته المكتظّة، تعثّر بكتاب أوقعه أرضًا، لعن السقوط ولم يلعن الكتاب، كان الغلاف جذّابًا ومعنونًا بـ(الحرافيش)، وعلى غلافه رجلٌ باسمٌ بنظّاراتٍ كبيرةٍ وناصيةٍ لامعةٍ.

لم يكن يعلم أنّه وضع يده على حلّ معضلته، قرأ الكتاب برمّته في يومين، فوجد نفسه قد سافر إلى القاهرة وحاراتها، ورأى عاداتها، وتعرّف على ثقافتها عبر أجيال عديدة، ثم بحث عن كتابٍ آخرَ جعله يتعرّف على أمريكا اللاتينيّة بشرايينها المفتوحة عبر (غاليانو)، ثم عبر المحيطات ليصل إلى جنوب شرق أوروبا، وتحديدًا بلغاريا؛ ليسبر أغوار فيزياء الحزن الذي خيّم عليها كما يرويها (غوسبودينوف)، ظلَّ صديقنا على هذا المنوال حتى ارتضى بأنَّ الكتب هي وسيلته الفضلى في استكشافه العالَم.

أليس هذا ما يفعله الأدب؟ ينقلنا إلى عوالمَ لم نتخيّل يوماً أنّنا سنعيشها، وإلى أراضٍ لم نتصوّر يوماً أن تطأها أقدامنا؟ ألم يكن الدافع الأكبر هو ذلك الفضول اللذيذ الذي يجعلنا مستمرّين في البحث عمّا يشبع عقولنا الجائعة؟ لقد زرع فينا الأدب بكافة أشكاله وصوره هذا المخيال الذي لا ينضب، ويسعى لمزيدٍ من الحكايات والقصص والأساطير.

بتنا نستهلك كلَّ ما نجد أمامنا من الروايات التي سبقنا الغرب في كتابتها ونشرها، حتى أتخمنا بالخيارات التي تملأ الرّفوف وتتلقّفها العين حيث تديرها، فمن (باولو كويللو) إلى (كونديرا)، وصولاً لـ(هاروكي)، وانتهاءً بالثّلّة الأولى من الكُتّاب العرب الأوائل، مثل طه حسين، والعم نجيب، وبلاغة المنفلوطي، أصبح أمامنا هذا الكمّ الوافر من الخيارات التي استهلكناها بكلّ حبّ، وحان الوقتُ لنكونَ مُصدّرين ومُصنّعين لهذا الفنّ.

وعندما نتحدّث عن الإنتاج العربيّ، نجد تهافتًا كبيرًا متزايدًا منذ بدء الألفيّة الجديدة على النشر في مجال الأدب بكلّ أجناسه، ومن نظرة بسيطة على الإنتاج الأدبيّ، ستجد أنَّ الكفّة قد مالت إلى الجانب القصصيّ والرّوائيّ على حساب الجانب الشّعريّ الذي يُعتبَرُ ديوان العرب، والذي سيطر على المشهد منذ قرابة أربعةَ عشرَ قرنًا، حتى وصلت إلينا الروايةُ مُعلنةً انتهاء هيمنة الشّعر، عبر الطلاب الذين درسوا فنونها ونقلوها إلى عالمنا العربيّ خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

هذا الميل أتى نتيجة الانتشار الواسع للأدب العالميّ في المكتبات العربيّة، من خلال الحراك الكبير في مجال الترجمة الأدبيّة الرصينة، التي نقلت جواهر الأدب العالميّ المعاصر إلى يدي القارئ العربيّ.

ولو أردنا تسليط الضوء على الأدب السعوديّ ومكانته بين كلّ هذه التحولات، لوجدنا أنّه كان متواجداً بقوة، سواء على جانب الإنتاج أو الجوائز، فمن كتب عبد الرحمن منيف، وشموليّة غازي القصيبي، إلى تميّز عبده خال، وتفرّد رجاء عالم، وصولاً لمحمد حسن علوان، نجد أنَّ الحافز بدأ يكبر لإنتاج سعوديّ غزير منذ عام 2010، بعد انتشار ثقافة الكتابة والنشر، وتسهيل وتسريع إجراءات الفسح.

ومنذ ذلك الوقت وإلى عام 2019م، حين تمَّ الإعلان عن استحداث وزارة الثقافة بإستراتيجيّتها وهيئاتها المختلفة، أخذ الكمّ يزداد مطّردًا مع الاهتمام الوطنيّ بالثقافة، خصوصًا بعد إنشاء هيئة خاصة تُعنى بالأدب، وهي هيئة الأدب والنشر والترجمة. وبما أنّنا دائمًا ما نردّد أنَّ القراءة هي وقود الكتابة، فإنَّ القارئ السعوديّ طالما كان واعيًا باختياراته وقراءاته، وحرصه على الحضور في معارض الكتاب المختلفة والمحافل الثقافيّة، والالتقاء بالأدباء، ويشهد على هذا الحضور حجم المبيعات في معرض الرياض الدوليّ للكتاب، الذي يُعَدُّ من أكبر المعارض في العالم العربيّ.

إنَّ هذا المخزون القرائيّ والوعي المعرفيّ أخفيا وراءهما كاتبًا ينمو داخل كلّ قارئ، وهذا ما لمسناه بشكل جليّ منذ انطلاق مبادرة (مسابقة أقرأ)، التي أطلقها مركز الملك عبد العزيز الثقافيّ العالميّ (إثراء) منذ عام 2013، والتي اتسعت رقعتها منذ سنتين؛ لتشملَ جميع دول العالم العربيّ، حيث تركّز هذه المسابقة على المهارات القرائيّة والاستنباطيّة لدى المشاركين الذين تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والخامسة والعشرين، فيلتقون بمَنْ يشبهونهم ويشاركونهم هموم القارئ، إضافةً إلى التقائهم بكُتّاب وأدباء محلّيّين وعرب وعالميّين في معسكر أدبيّ خالص.

نعم هم قُرّاء في الأصل، لكنّهم يخرجون بنصّ بديع من مخزون قراءاتهم المختلفة؛ ليُلقوه في مسرح إثراء أمام جمعٍ من المثقّفين والقُرّاء والأدباء، والشخصيات الاعتباريّة؛ ليُعلنوا ولادة جيل مبهر يملك من الأدوات ما تُمكّنه من الوصول إلى أبعد مدى، وهذا ما دفع المركز نفسه لإعلان هدفهم السامي بحضور السيد (أورهان باموق) الفائز بجائزة نوبل للآداب، بأنّه يسعى لأن يُمكّن هذا الجيل ليخرجَ منهم كاتبٌ سعوديٌّ يفوز بجائزة نوبل مستقبلاً.

وبما أنّنا نتحدّث عن الجيل الجديد ومركز (إثراء)، فها هي أكاديميّة (إثراء) أيضًا تقوم بتقديم الدورات الاختصاصيّة في الكتابة الإبداعيّة عمومًا والرواية تحديدًا، عبر استقطاب كُتّاب مُخضرمين من العالم العربيّ؛ لنقل خبراتهم إلى الكُتّاب السعوديّين الشغوفين بالكتابة والنشر.

إنَّ المتابع للمشهد السّعوديّ الأدبيّ يجد مبادراتٍ أخرى أطلقتها وزارة الثقافة السّعوديّة، تشمل كلّ أضلاع القطاع الأربعة: الأدب والنشر والترجمة والقارئ، فنجد مبادرة (الشريك الأدبيّ) التي تفعّل دور المقاهي؛ لتصبح بمثابة الصالونات الأدبيّة التي تستضيف الكُتّاب الشباب وتجمعهم بالمهتمّين، إضافةً إلى ممكنات ومسرعات دور النشر السّعوديّة، وتبادلهم الخبرات مع دور نشر عالميّة.

ومبادرة (ترجم) التي تهدف لترجمة الأعمال السّعوديّة إلى لغات مختلفة تصل لأصقاع الأرض، وبرنامج النشر الرقميّ الذي يقوم بأتمتة كلّ النتاج الأدبيّ السّعوديّ، ولا ننسى كذلك الجانب التحفيزيّ والتكريميّ عبر الجوائز الثقافيّة الوطنيّة، التي تُكرِّمُ المبدعين والمميّزين في مجالات الأدب المختلفة.

إنَّ كلَّ هذه المبادرات والممكنات تجعل البيئة خصبة للكاتب السّعوديّ بأن ينشر إبداعاته الأدبيّة، التي لا أشكّ في وفرتها وجودتها متى ما تسنّت لها أن ترى النور وتصل ليد القارئ الكريم، والمتأمّل في الإنتاجات الحالية للكُتّاب السّعوديّين، يجد أنَّ الكاتب السّعوديّ لا تنقصه الأدوات السّرديّة والوصفيّة في كتاباته، فروايات الفانتازيا لأسامة المسلم على سبيل المثال، والتي تلقى رواجًا كبيرًا بين القرّاء اليافعين، غنيّة بالإثارة وبكثافة الأحداث.

وفي الجانب الآخر أبدعت نجوى العتيبي في إصدارها الأول الذي حمل عنوان (رفّ اليوم: ما لم يستطع السيد الحصول عليه)، حيث تجد نفسك بين مذكرات (سايبورغ) ومحاولاته في العودة إلى أصله البشريّ بطريقة سرديّة غير سائدة لدى الكُتّاب الشباب. ومن الفانتازيا إلى الواقعيّة المؤلمة في رواية (الحالة الحرجة للمدعو «ك») لعزيز محمد، التي وصلت للقائمة القصيرة في البوكر العربيّة، ومثلها (عين الحدأة) لصالح الحمد، التي وصلت كذلك للقائمة الطويلة للجائزة العالميّة للرواية العربيّة.

هذي بعض الأمثلة لكُتّاب سعوديّين شباب قد تميّزوا بكتبهم، وهنالك المزيد ممّن ينتظرون تسليط الضوء على نتاجهم في أقرب وقت.

حروفية ناصر الرفاعي/ الكويت

لوحة علي الفردان/ البحرين

وادي الرّيان/ الأردن

وادي الرّيان..
بقعةٌ من الجنّة

سلام خشان

وادي الرّيان/ الأردن

وادي الرّيان.. بقعةٌ من الجنّة

سلام خشان.

تُلهمني فطرتي أنّني حيّةً في المكان المناسب، المكان الذي أحبّه ويروق لي، ممّا أحبّ إلى عينيّ أن تنظرَ وإلى نفسي أن تنبسط، وإلى الفكر أن يُبدعَ ويتأرجحَ على خطوط الخيال، طبيعةٌ ساجيةٌ هادئةٌ لا أسمعُ فيها إلّا بعضَ الأصوات الخافتة، وفي الجوّ سرٌّ يهزجُ على أوتار النّسيم، وفي حفيفِ الشّجرِ حمائمُ هي رمزُ السّلام، وشجو الخيال ينفحُ بالعطر ويرفُّ بالنّور.

وادي الرّيان الذي يزيدُ من هشاشة الأقلام وكتابة كلّ ما هو حيويّ، إنَّه تصويرٌ ينبض وسط حروفٍ منبعثةٍ من قلب الطبيعة، فهذا الجمال يبعث في النفس أملاً يسعى لإثارة الهاجس بقلمٍ متعطّشٍ وطاقةٍ تصفُ هذا الجمال.

وادي الرّيان/ الأردن

وُلِدنا مع خيوط الشمس وأوراق الشجر، نكتب إشراقةَ الحكايات أنا ونخبةٌ من كُتّاب بلدتي، يضمّنا وادي الريان كالأمّ التي تحتوي أبناءها، يصوّر لنا بعضَ مشاهد الجمال التي تجعلنا نصفها نجوماً تتألّقُ في سماءٍ عاليةٍ، مثلاً تعلّمنا كيف نرافقُ غياباً ذهبيّاً كان يضيء على أزهاره أثناء النهّار، وراح يغيبُ ليُشرق في اليوم التالي، إنَّه شيءٌ أشبهُ بانعكاس الذّهب على زينةٍ مُخضرّة.

صرنا نرتشف همساتِ سحرِ الوقت واللقاء الفاتن، فتلفحنا شمسُ نهارٍ جديد، يصافحُ وجوهنا التي بقيت عالقةً ببردِ الليل، وتصبحُ في القلبِ نبضة دفءٍ تُشعل أقلامنا، كفيلٌ هذا الشعور أن يقودَ أحرفنا إلى ما لا نهاية، فكلُّ ما يُكتَبُ تجده قريباً للنفس ممثّلاً للجمال.

وادي الرّيان الذي يجمعُ بين جمالِ السهول والجبال العالية والأنهار الصافية، يعلوه رسمُ غيمٍ ونورُ شمسٍ مُشرقة. على عشب الوادي أجلس أنا بجانبِ التّلةِ المُخضرّة التي تلوّنها الورود الصّفراء، أراقب جمالَ المشهد وأكتبه في نصوصي كفراشةٍ ترفرفُ في زهو الحرّيّة، لا شيء يُعكّر صفوَ هذه السّاعة التي هي أشبه بمكانٍ في الجنّة.

تتعاقبُ فصولنا الأربعة، فصلٌ يروحُ وفصلٌ يجيء، أما عن فصلِ الرّبيع الذي يستوطن عمقَ القلب ويزيّنُ الذاكرة، فهو رحيقٌ من طيفٍ كإشارةٍ. أخذتُ نَفَساً عميقاً، تراكضتُ عند أوّل نسمةٍ حائرةٍ في منتصفِ إبريل، حتى وصلتُ إلى التلّة الخضراء، يكسوها الخضار اليانع، أبحثُ عمّا يُجِدّ سروري، إلى أن وجدتُ زهرةً قطفتُها وزيّنتُ بها شعري.

لا فسحةَ لوجود العالم من نقطةٍ أوسعَ، وكأنّني أعيشُ في نقطةٍ تكسوها الأزهار والألوان، جلستُ لأكتبَ بعض الشيء، لا أعرفُ ماذا سأكتبُ، لكنّني أتأمّل حولي، أنظر هنا وهناك، وقعَتْ عيناياَ على قطّةٍ صغيرةٍ شقراء اللون، ذاتِ قوامٍ أهيفَ، وساقٍ لفّاء، وعينين زرقاوين، تقف بجانبِ زهرةٍ بنفسجيّةٍ، كأنّها تنتظرُ أحداً ليلتقطَ لها صورةً، فبدأتُ أكتبُ وأنتظرُ ماذا ستفعل لأُكملَ ما كتبتُ مع قدومِ قطّةٍ أخرى وأنا أكتب، كأنّها أختها من شدّة الشَّبه، وبدأتا تلعبان وتتسابقان، تقفزُ إحداهما فوق الزهور، وتلحقُ بها الأخرى، تُقبّلان بعضهما بعضًا، هكذا إلى أن رأتني إحداهما وأنا أحدّقُ في النظر إليهما، فذهبتا إلى مكانٍ بعيد.

ومن طريف ما يُذكر، أنّني أختلي بالصّباح في هذا المكان البهيّ، وبين رشفةِ قهوةٍ وزقزقةِ عصفور، أتأمّلُ أنا، وأكتبُ مقالاتٍ لمجلةِ (صوت الجيل)، كان حُسْنُ وقعها في قلبي، وعند الكتابة، شيئًا يدفعني إلى الإجادة والاستمرار.

وادي الرّيان/ الأردن

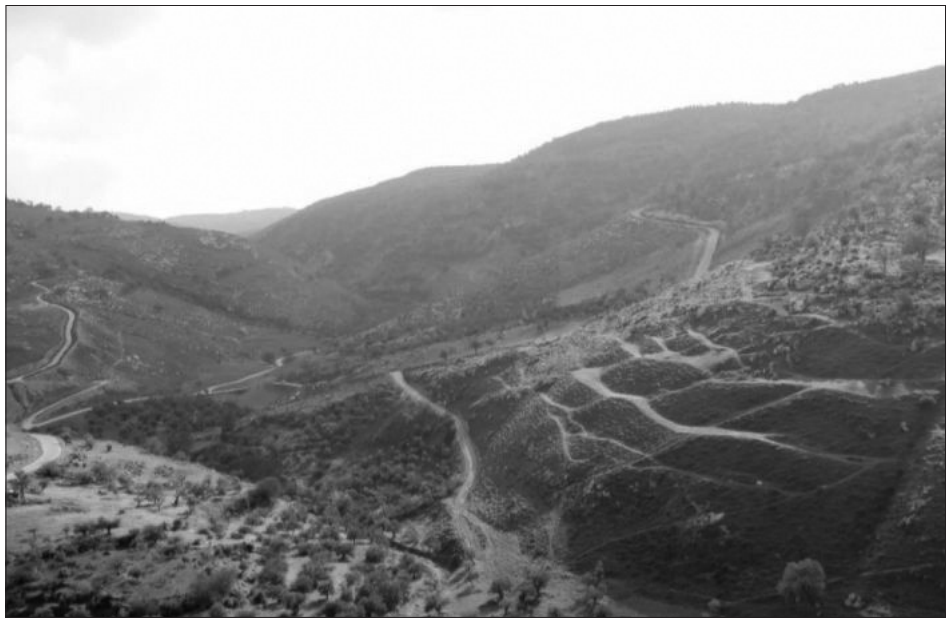

وادي الرّيان/ الأردن

وادي الرّيان/ الأردن

للفنانة آية الخوار/ الأردن

للفنانة آية صالح/ الأردن

صوت الجيل 25

العدد 25 من الإصدار الجديد 2024

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة